عالمية اللغة العربية عند العرب والمستشرقين
رؤية موضوعية

إعداد الدكتورة
هيام أحمد علي فتح الباب
مدرس أصول اللغة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف

عالمية اللغة العربية عند العرب والمستشرقين
رؤية موضوعية

هيام أحمد علي فتح الباب

قسم أصول اللغة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : hayamahmed1976@gmail.com

الملخص :

تعد اللغة العربية من أقدم لغات العالم استخداماً ،وأعرقهم حضارة، كما أنها من أكثر لغات المجموعة السامية متحدثين ، وهي من بين خمس لغات عالمية وفقا لما أعلنته منظمة اليونسكو بالأمم المتحدة . وهي تستمد خلودها وانتشارها من كونها لغة للقرآن الكريم الذي يتصل به خمس سكان العالم ، فالمتحدثون بالعربية نصف مليار نسمة كما في بعض الإحصاءات ،وينتشرون في الدول العربية ، بالإضافة الى دول أخرى إسلامية ، فارتفعت بالقرآن وشرفت بتعبيره ، ونمت ونضجت وحملت شريعة سماوية ، كما حملت نتاج عقل الأمة العربية في الماضي والحاضر ، وحاولت هذه الدراسة طرح رؤية عالمية اللغة العربية إسما ووسما عند العرب والمستشرقين قديماً وحديثاً مع توثيق ذلك بما ورد تاريخياً وعالمياً ،لإثبات أسبقية اللغة العربية إلى العالمية منذ القدم من قبل اعتمادها رسمياً لغة عالمية ضمن اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة وفقا لقرار منظمة اليو نسكو، بهدف نشر الوعي الثقافي الذي يبصر أجيالنا بقدر لغتهم وعزتها وقدسيتها ، وأن في تعلمها وارتقائها فخراً شخصياً ومكسباً روحياً كبيراً ، لأنها عنوان الشخصية العربية،

وهذا يعد إسهاما من أجل الحفاظ على الهوية العربية، وتقوية روح الانتماء للغة والوطن.

الكلمات المفتاحية : العربية– العالمية – العرب– المستشرقون .

The universality of the Arabic language among Arabs and orientalists, an objective vision

Hayam Ahmed Ali Fath El-Bab .

Faculty of Islamic and Arabic Studies For girls , Bani Sweif , Al-Azhar University , Egypt

Email: hayamahmed1976@gmail.com

Abstract:

The Arabic language is one of the oldest used languages in the world, its civilization has the deepest roots among them, and it has the biggest number of speakers in the Semitic languages group , It is also among thefive global languages, as UNESCO in the United Nation has stated . It derives its immortality and spread from being the language of the Holy Qur'an, to which fifth of the world's population is connected. Arabic speakers are half a billion as in some counts , and they spread in Arab countries, in addition to other Islamic countries.So it is raised by the Qur'an, honored by representing it , grew and

matured, and carried the God massage to all people , It also carried the outcome of the mind of the Arab nation in the past and present.This study attempted to put forward a global vision of the Arabic language as a name and a mark for Arabs and orientalists, ancient and modern, whiledocumenting

that with what was mentioned historically and globally, to prove the primacy of the Arabic language to internationality since ancient times , before adopting it officially as a global language among the six official languages of the United Nations in accordance with the decision of UNESCO, with the aim of Spreading cultural awareness that shows our generations their language's dignity and sanctity, and that in learning and developing it a personal pride and a great spiritual gain, because it is the title of the Arab personality, and it is a contribution to preserving the Arab identity, and strengthening the spirit of belonging to the language and their homeland.

Keywords: Arab – Internationality – Arabs – Orientalists

المقدمة

نالت اللغة العربية التكريم والتقديس؛ لأنها لسان النص القرآني الذي شرفها وخلدها في قلوب المسلمين في جميع العصور، والأماكن ، فهي لسان الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم وفصحى البيان النبوي وبلاغة الفصحاء والخطباء، فهي ليست مجرد أداة تواصل بين الشعوب العربية، بل هي لغة الدين، لغة القرآن الكريم، لغة الحضارة ووعاء الثقافة، رمز الهوية ، عنوان العروبة، أساس القومية ، صورة الشخصية العربية، ومظهر الفكر الثقافي للمجتمع العربي .

اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية المستخدمة في كل دول العالم الاسلامي العربي، وكذلك غيرها من دول العالم الاسلامي .

اللغة العربية لغة حية قوية هي من أعرق اللغات العالمية وأشرفها وأبلغها عبارة، وأغزرها مادة، وأدقها تصويرا، وأجملها تعبيرا ، وأصدقها نقلا للواقع، تميزت بالمرونة والسعة في الدلالة والتعبير، وتراثها وتاريخها يشهد بذلك ، فقد أبهرت كل من اطلع عليها في جمال بيانها وإتقان نظمها ، وإبداع خطها . فهي ذات التاريخ الطويل والمكانة العالمية والقيم الثابتة

لقد أسهمت العربية في إثراء الفكر والثقافة لبناء الحضارة الإنسانية، في العصور الوسطى حيث قامت بدورها التنويري عبر القرون الطويلة ، فكانت لغة العلم والثقافة لغة التراث العظيم من العلوم ، والفنون والآداب .

وقد عاشت لغتنا العربية في ازدهار حضاري على مدى قرون عديدة، وانتشار مكاني شمل كثير من بلدان العالم، فقد كان لها التفوق والريادة .

حملت مشاعل المعرفة الإنسانية وجواهر الكنوز الثقافية في عصور متلاحقة فأنارت الحضارة الأوروبية وكانت سبباً لازدهار حضارتها إلى اليوم، ونقلت إليها الفلسفة الإغريقية والحضارة الرومانية والثقافة اليونانية عبر قنوات بلاد الأندلس من

قرطبة وغرناطة وطليطلة وغيرها من البلاد الأندلسية، فكان التراث العربي هو زاد المعرفة الانسانية .

لغتنا لها من القدرات والقوة والثراء لتقف وتبقى أمام كل التيارات والدعاوي الهدامة ، تتصدى لكل ما هو مخرب ومضل ،فهي العروة الوثقى لكافة المؤمنين ،لذلك أصبحت حماية سلامتها والحفاظ عل وحدتها واجب ديني وقومي ووطني .

ومن منطلق واع مستنير يستشرق الآفاق الرحبة لهذه اللغة الجزلة ، يرى في قوتها وحيويتها وثرائها قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق في قطاعات العلم والمعرفة ، رأيت أن أقدم هذا البحث إيماناً بأهمية عالمية اللغة العربية ومكانتها في ترسيخ الهوية الإسلامية والقومية العربية ، وإثباتا لعالميتها قديما وحديثا بشهادة منصفة من العرب وغير العرب من المستشرقين .

ولقد خطر إلى ذهني فكرة هذا البحث واستهوتني فكرة العالمية للغة العربيةً إسما وسما عندما كنت في رحاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة لحضور الحفل السنوي الذي يقيمه المجمع بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي باللغة العربية ،حيث يكون يوماً مميزاً به إثراء ثقافي وتبادل فكري معرفي ، فهو عرس حقيقي للغتنا في معقلها الرسمي بالقاهرة .

وكان هدف بحثي هو توثيق فكرة العالمية للغة العربية قديماً وحديثاً لدى العرب والمستشرقين ، فمن أسمى الأهداف أن تشيع روح الاعتزاز باللغة العربية ، وتقديرها والتمسك بها ، والإقبال على تعلمها ، وإدراك ما يوجه إليها من سهام الهدم، والدفاع عنها بروح وطنية وولاء ديني .

وقد كان الهدف منذ البدء في إعداد هذه الدراسة أن تتضمن شيئاً من الإجابة علي أسئلة ترددت كثيراً وذلك من خلال هذا البحث وهي:

١-هل استحقت العربية العالمية لخصائصها الذاتية أم لأنه توفر لها ما لم يتوفر لغيرها ؟

٢-هل اتسمت بالعالمية قديما وحديثا ؟

٣-لماذا كانت أسبق اللغات إلى العالمية؟

٤-هل لا زالت تحافظ على عالميتها؟

ولهذا رأيت أن أتناول دراسة عالمية اللغة العربية عند العرب والمستشرقين ،فعالجت أولاً فكرة العالمية للغة العربية قديماً وحديثاً عند العرب من خلال عرض مكانتها وتاريخها ورفعة شأنها الذي أهلها للعالمية وبواعث ومقومات العالمية التي اتسمت بها منذ نزول القرآن الكريم بها، فعالمية اللغة العربية ارتبطت بعالمية القرآن الكريم الذي يقرأه المسلمون في كل أنحاء العالم لأنه لا يترجم ، مع استعراض أهم خصائصها الذاتية من عناصر صوتية وصرفية وتركيبة ودلالية .

ثم إيضاح الكيفية التي تم بها ترسيمها حديثا لغة عالمية من قبل منظمة اليونسكو، ثم وضع رؤى حول واقع اللغة العربية ، وتأثيره على عالميتها .

ثم تناولت وجه آخر وهو عالمية اللغة العربية عند المستشرقين، لتكون شهادة حق وإنصاف لها من غير أهلها فتكون أوقع وأبلغ، فاستعرضت موقف بعض المستشرقين من قضية وفكرة عالمية اللغة العربية ، وجدير بالذكر أن عدداً من المستشرقين البارزين الشرفاء ذوي النوايا الحسنة ،أكدوا على عالمية اللغة العربية ومقوماتها الذاتية والتاريخية التي أهلتها لذلك وعالميتها التي ارتبطت بعالمية القرآن الكريم ،كما أشاروا إلى أهمية اللغة الفصحى باعتبارها ضمانة أساسية لمستقبل الأمة العربية ،ورمزاً للوحدة العربية الثقافية العريقة .

وتفرض طبيعة الدراسة أن يكون منهجها وصفياً ، يهتم بتحديد مفهوم ووصف واقع عالمية اللغة العربية قديماً من خلال التاريخ الموثق لهذا الأمر، وحديثا من خلال الوقائع والمعطيات والأدلة والقرارات والأرقام ،التي سجلت عالمية اللغة، وتحليل مظاهر ذلك وتوثيقه باستخدام الأسس العلمية المنهجية الموضوعية.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: أهمية الدراسة، وتساؤلاتها ،وأهدافها، والمنهج المتبع في معالجتها .

واشتمل التمهيد على تعريف مفاهيم أساسية: مفهوم العالمية اللغوية – اللغة العربية – الفصحى والقرآن – المستشرقون .

وجاء صلب البحث في مبحثين:

المبحث الأول: عالمية اللغة العربية عند العرب :ويشمل :

أولا :مدخل تاريخي حول مكانة العربية.

ثانياً: مزايا وخصائص اللغة العربية.

ثالثاً: عالمية اللغة العربية عند العرب.

رابعاً:رؤية موضوعية لواقع اللغة العربية.

المبحث الثاني: عالمية اللغة العربية عند المستشرقين : ويشمل:

أولاً: الاستشراق واللغة العربية.

ثانياً: جهود بعض المستشرقين في خدمة اللغة العربية.

ثالثاً: نظرة المستشرقين إلى عالمية اللغة العربية.

ثم الخاتمة وبها أهم النتائج .

فأردت أن أقدم بحثاً أحتسبه لوجه الله أولاً اعلاءً للغة ديننا الحنيف خاصة أننا نعيش في عصر من الفوضى اللغوية عصر ضعفت فيه الهمم وقل فيه الانتماء اللغوي فأصاب الشباب الانحراف اللغوي لتقليدهم الأعمى لكل ما هو غربي .

وبعد .. فإنني أدعو الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل متقبلا، وأن يرزقه القبول عند جميع قارئيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

في بداية بحثنا نؤكد على الحقيقة التي استقر عليها علماء اللغة قديماً وحديثاً وهي أن اللغة كائن حي، تحيا بحياة المتكلمين بها، قابلة للنمو والتطور والتغير، تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه ، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، وهي ظاهرة اجتماعية ترقى برقي المجتمع وتنحط بانحطاطه .وقد تتلاشى اللغة وتندثر لأنها لا تملك عناصر الحياة والبقاء والنمو فتضعف أمام أي لغة أخرى. (١)

إن اللغة تجسيد حي لكل معارف الإنسان وخبرته، ودليل شخصيته وهويته الثقافية، فهي التي تكشف عن مكنون النفس والعقل بترجمته إلى واقع حقيقي في صورة أحداث فعلية، وهذا هو ما أكد عليه ماريوباي فقال: " أن اللغة المتكلمة لتمتد إلى كل مجالات الحياة البشرية بدون استثناء أو تميز. كل الناس تتفاهم أساساً عن طريق الأصوات الكلامية، وهذا يعني أن اللغة جامعة ، بمعنى أنها توجه وتصاحب كل نشاط إنساني يشترك فيه اثنان أو أكثر، واللغة ... تعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي السابق بين أعضاء الجماعة اللغوية، على المعنى أو المعاني المعينة التي تستدعيها أصوات خاصة ". (٢) ولغتنا العربية تجسيد لحياة الأمة العربية الإسلامية على مدى العصور التاريخية المختلفة، فهي لسان حال الأمة المعبر عن كل مراحل حياتها، وهي المرآة التي تعكس شخصيتها وهويتها،

(١) ينظر: علم اللغة العام ، د. توفيق محمد شاهين : ص١٢٨، مكتبة وهبة طـ١ ، رجب ١٤٠٠ ه – مايو ١٩٨٠م.
(٢) أسس علم اللغة - ماريو باي : ص٤٠ ، ترجمة د.أحمد مختار عمر – عالم الكتب طـ ٨ – ١٤١٩ ه – ١٩٩٨ م .

وهي الأداة الفعالة لبناء النهضة والحضارة والعالمية وسنتناول تلك الرؤية في بحثنا.

هناك مفاهيم أساسية ترتبط بمحتوى البحث سوف نتناولها فيما يلي :

مفهوم العالمية اللغوية:

كلمة العالمية في اللغة: "اسم مؤنث منسوب إلى عالم: شركة –مؤسسة عالمية، مصدر صناعي من عالم: حركة إنسانية تعمل على خدمة البشرية، والتقارب بين الشعوب دون المساس بهويتها وخصوصياتها الثقافية". (١)

اللغة العالمية: هي اللغة التي يمكن أن يتكلم ويتفاهم بها معظم الناس في العالم وتستخدم على نطاق واسع. وقد كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية في شمال أمريكا وأوروبا والهند منذ الحرب العالمية، أما الآن فهناك عشر لغات عالمية تحتل اللغة العربية بينها المركز الخامس(٢).

والمفهوم الأدق لهذا المصطلح: أنه يطلق على اللغة التي تستعمل من قبل المنظمات العالمية الدولية التي تصرح بكونها لغة عالمية وفقا لتوافر مقاييس دولية أهمها سعة الانتشار لهذه اللغة.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:١٥٤٣/٢ ـ عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

(٢) فاللغة الأولى عالمياً هي لغة الماندرين وتسمى في الغالب باللغة الصينية وهي الأكثر استعمالاً في الصين. والثانية : اللغة الإنجليزية ، والثالثة: اللغة الإسبا نية ، ، والرابعة :اللغة الأردية والهندية ،والخامسة: اللغة العربية وتستخدم اللغة العربية بشكلٍ أساسي في دول الشرق الأوسط ودول شمال القارة الأفريقية، والسادسة: اللغة الروسية ، والسابعة: اللغة البنغالية والثامنة: اللغة البرتغالية ،واللغة التاسعة عالمياً هي لغة الملايو الإندونيسية ،واللغتان الفرنسية واليابانية تحتل كل منهما الدرجة العاشرة لأن لديهما تقريباً نفس العدد من المتحدثين، إذ يتحدث الفرنسية نحو ١٣٠ مليون نسمة بينما اليابانية نحو ١٣١ مليون. تم الاعتماد على، الموسوعة الحرة(ويكيبيديا)على الشبكة المعلوماتية لحداثة الإحصائيات المسجلة عليها. والرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki

اللُّغَة العرَبيّة:

وتعد اللغة العربية من أقدم لغات العالم استخداماً، وهي أكثر اللغات السامية تحدثاً، ومن أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدث بها أكثر من ٤٦٧ مليون نسمة، فهي لغة العرب في الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأهواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإرتيريا وإثيوبيا وجنوب السودان وإيران . وبذلك فهي تحتل المركز الخامس من حيث اللغات الأكثر انتشاراً في العالم، كما تحتل المركز الثالث تبعًا لعدد الدول التي تعترف بها كلغة رسمية؛ إذ تعترف بها ٢٧ دولة كلغة رسمية، وتعد اللغة الرابعة من حيث عدد المستخدمين على الإنترنت. (١)

وقد عرفت العربية بعدة أسماء منها:

اللغة العربية الفصحى: التي نزل بها القرآن الكريم أو اللسان العربي المبين كما عبر عنها القرآن الكريم في كل آياته .

العدنانية الشمالية: مقابلة لها بالقحطانية الجنوبية .

لغة قريش: لما كان لقريش من مكانة دينية واجتماعية وفصاحة لغوية .

لغة الضاد: قال ابن جني: "واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد من كلام العجم إلا في القليل".(٢)

وقيل:" أما السر في إطلاق "لغة الضاد" على اللغة العربية، فإنه يكمن في أن هذه الضاد، كانت مشكلة عويصة بالنسبة لمن يريد أن يتعلم العربية من الأعاجم". (٣)

---

(١) ينظر: السابق.

(٢)سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ):٢٢٦/١-دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٣)ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د.رمضان عبد التواب: ص٦٩- مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣- ١٤١٧هـ .١٩٩٧م

اللغة الشاعرة: كما أطلق عليها العقاد، وأراد أنها لغة بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية ، فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء، فتتصل المفردات اللغوية بأشكالها المحسوسة أو تنفصل عنها ولا تبقى لها غير معانيها المجازية ، لأنها مفردات في لغة شاعرة يعمل فيها الخيال والذوق كما تعمل فيها الأبصار والأسماع بالسليقة الشاعرة . (١)

وورد في كتاب الله الكريم بضع عشرة آية تنص على تنزيل القرآن بهذه اللغة منها قوله تعالى: ﴿**إنا أنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً** ﴾ (٣)

وقوله أيضا: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ (٤)

وقوله أيضا: ﴿**قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ (٥)

فدلت الآيات الكريمة على المعنى المراد من كلمة (عربياً) وهو البيان والوضوح لكل ما اشتمل عليه القرآن الكريم من حقائق الرسالة السماوية، فنزل بلسان عربي مبين حتى لا يشتبه أو يلتبس على العرب شيء فيحيطوا بكل معانيه، وهذا ما أكد عليه علماء التفسير.(٦)

(١) ينظر: اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد: ص٨ ،١٦، مكتبة نهضة مصر- يونيو ١٩٩٥م.
(٢)سورة يوسف: آية ٢.
(٣) سورة طه: جزء من آية ١١٣.
(٤) سورة الشعراء: آية ١٩٥.
(٥) سورة الزمر: آية ٢٨.
(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القران، الطبري: ١١/١ الآية الأولي (ت:٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)٤٤٠/٢ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

وبهذا التشريف سجلت العربية حضوراً كبيراً في رقعة كبيرة من العالم، كما صار لها منزلة عالية في قلوب المسلمين على اختلاف لغاتهم؛ لأنه بها يتم تلاوة القرآن والتدبر في معانيه لمعرفة وجوه إعجازه واستخراج عبره وحكمه .

ولما علم العلماء أن استنباط الأحكام من القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلاهما وارد بلسان العرب، عدوا من فروض الكفاية التبحر في معرفة العربية، كما حث رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وعدد من علماء المسلمين على تعلمها ، فورد:

ما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظُونِي فِي الْعَرَبِ لِثَلَاثٍ خِصَالٍ لِأني عَرَبِيٌّ وَالْقُرْآن عَرَبِيٌّ وَلِسَان أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ». (١)

ما روي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أنهُ قَالَ: " تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ". (٢)

وفي رواية أخرى عنه أيضا: " تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ فَإِنهَا تُثَبِّتُ الْعَقْلَ، وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ".(٣)

قال ابن تيمية: (إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون). (٤)

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك، ك/ معرفة الصحابة ، ب/ فضل كافة العرب ، حديث رقم (٧٠٠٠) ، (٩٨/٤) وقال: «حَدِيثُ يَحْيَى بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَإِنمَا ذَكَرْتُ حَدِيثَ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ مُتَابِعًا لَهُ، وَالْمُتَأَمِّلُ بِقَوْلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ مُتَهَاوِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِن شَوَاهِدَهُ تُنْذِرُ بِالْوَعِيدِ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ يخْتَارُ الْفَارِسِيَّةَ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ نُطْقًا وَكِتَابَةً، وَقَدْ رُوِّينَا فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ فَمِنْهَا».

(٢)أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، ك/ الصلاة ، ب/ وجوب تعلم ما تجزئ به الصلاة من التكبير والقرآن والذكر وغير ذلك، حديث رقم (٢٢٧٤) (٢/ ٢٨).

(٣)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ب/ طلب العلم والعلم إذا أطلق علم الدين، حديث رقم (١٥٥٦) (٢١٠/٣).

(٤)اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحران ي الحنبلي الدمشقي

قال الشافعي: فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك.[1]

ابن القيم الجوزية:(وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها). [2]

وقد كان للغة العربية دوراً هاماً في الوجود الحضاري، حيث حملت أخبار العرب وأمجادهم، كما نقلت مصطلحات العلوم والفنون والآداب والفلسفة من حضارات السومريين والأكاديين والكنعانيين، والفينيقيين، والمصريين، كما ارتبطت بالأنباط والغساسنة والمناذرة ، ثم انحدرت لتستقبل الفصاحة والبيان في عكاظ ومجنة وذي المجاز.[3] فهي لغة دين وحضارة وثقافة.

الفصحى والقرآن:

القرآن: "هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، معجزة باقية على وجه الدهر ، لا يخلق عن كثرة الرد ،ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، شاملاً لخيري الدنيا والآخرة ... نزل به الروح الأمين على

(ت: ٧٢٨هـ)، (٥١٩/١)، تح: ناصر عبد الكريم العقل، ن: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

([1])الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، (٤٧/١)، تح: أحمد شاكر، ن: مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

([2]) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لمحمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت٧٥١ه) ، ص٧. ن: دار الكتب العلمية.

(٣) ينظر: اللغة والحضارة ، د. محمد بديع شريف ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٦٨ ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، شوال ١٤١١ هـ - مايو ١٩٩١ م .

أسلوب ، يعيا البيان ويتخاذل إن حاول تجلية حسنه .. وحسبه أن يرمى أمراء البيان أرباب الفصاحة بالحصر دونه ، والسعي أمامه."[١]

ولقد أثر القرآن الكريم في تثبيت دعائم الوحدة اللغوية وتقوية سلطان اللغة العربية وكان ذلك من خلال حفظ القرآن وتلاوته والتقرب به إلى الله، كما أن الجهود التي توالت للمحافظة على النص القرآني من الفساد أو اللحن أو التحريف، كانت جهوداً مشكورة للمحافظة على تثبيت دعائم الوحدة اللغوية .

وكان من فضل القرآن الكريم على اللغة العربية، أنه وضع حداً للتعامل بين اللهجات العربية فوحد بينها حتى لا تتحول بمرور الزمن إلى لغات مختلفة كما حدث في كثير من اللغات، فالقرآن الكريم هو الذي وحد اللغة العربية الأدبية بعد أن كانت تختلف لهجاتها باختلاف بعض القبائل ، كما كان الحال في تميم وفي قضاعة وغيرها من القبائل، حتى بعد عصر التدوين ،دونت اللغة العربية على أنها لغة الإسلام، الذي سودها ووحدها لغة ودينا وغاية. [٢]

ومن المسلم به لدى علماء اللغات أن اللغة إذا انتشرت وتكلم بها عدد كثير من الناس كان ذلك سبباً في انقسامها إلى لهجات مختلفة ، وبمرور الزمن تتباعد وتصبح لغات مستقلة لكل منها خصائصه ومميزاته ، ويستحيل حينئذ الاحتفاظ بوحدة اللغة الأولى ، وهذا ما حدث لكثير من اللغات العالمية ، بل إن انقسام اللغة الإنسانية الأولى وتفرعها إلى لغات متعددة ، يرجع إلى ذلك القانون اللغوي. [٣]

إذن انطلاقاً من سنة التطور والتغير التي تعرضت له اللغات الإنسانية في تاريخها على مر العصور، لم يثبت أن هناك لغة على ظهر الأرض لم تتعرض

(١) ينظر: أثر القران الكريم في اللغة العربية ، الشيخ أحمد حسن الباقوري : ص ٢٣ ، دار المعارف ، ط ٤.
(٢) ينظر: السابق ص١٩ ،٤٢ .
(٣) ينظر: بحوث لغوية (أثر الإسلام في الحفاظ على وحدة العربية وتقارب لهجاتها) ، د. أمين محمد فاخر ، حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ، عدد١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

للانقسام أو التفرع إلى لغات متعددة ، ويذكر د. رمضان عبد التواب أن العربية الفصحى توفر لها ما لم يتوفر لغيرها من لغات العالم ، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرناً ، ودون بها التراث العربي الضخم، الذي كان محوره القرآن الكريم وشرفها الله عز وجل بهذا الشرف الخالد فكفل لها الحفظ المقرن بحفظ الدين وكتابه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(١)

ولولا كل هذا لأمست اللغة العربية لغة أثرية ، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية ، ولسادت اللهجات العربية المختلفة البعيدة عن الأصل الأول لها. (٢)

"ومما يدل على قوة تأثير القرآن على العربية أننا نجد من المسلمين من غير أبناء العرب من يقرأ هذا القرآن كما يقرأه العربي بل أحسن مما يقرأه كثير من العرب في بعض الأحيان ، وتلك ميزة امتاز بها القرآن عن بقية الكتب التي نزلت على الأنبياء عليهم السلام." (٣)

ويختلف القرآن الكريم عن الكتب المقدسة الأخرى (التوراة – الإنجيل) لأنه لا يمكن أن ينطق بغير العربية ، ومن هنا رفض مبدأ ترجمة القرآن الكريم نفسه إلى لغات أخرى ، لأن العربية لها خاصيتها من الناحية البلاغية ، ولا يمكن أن تأتي الترجمة بالنقل الحرفي لمقصود بالألفاظ ، إذن ما يمكن تحقيقه هو ترجمة لمعاني القرآن أو تفسيره وليس لنص القران نفسه.(٤)

المستشرقون:

مفهوم الاستشراق:" كلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية، لا يراد بها مدلولها اللغوي، من حيث التوجه نحو الشرق، يقال: استشرق أي اتجه إلى الشرق، وانتسب

(١) سورة الحجر: آية٩.
(٢) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية ، د. محمد المبارك ص٣٣ – ط ٣ – دار الفكر – بيروت – ١٩٦٨ م، و التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب : ص١٢ ، مكتبة الخان جي بالقاهرة – ط ٢– ١٤١٠ هـ -١٩٩٠م.
(٣) بحوث لغوية (أثر الإسلام في الحفاظ على وحدة العربية وتقارب لهجاتها) – د. أمين محمد فاخر ، ص١٦.
(٤) ينظر:السابق ص١٦.

إليه، واستشرق في المفهوم الاصطلاحي ":طلب علوم الشرق واتجاه للتخصص في معرفتها".[١] وهي كلمة" مولدة عصرية.

وعرف أيضاً بأنه: "ذلك العلم الذى تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[٢].

وقيل أنه: "أسلوب غربي للسلطة، ونوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"[٣].

وعرفه بعضهم بأنه: الجانب الذى يخدم البحوث العربية والإسلامية، وهو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[٤]

وقد ذكر د. محمود حمدي زقزوق أن المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو :" يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام . وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين" [٥].

وعلى هذا فكل ما يصدر عن الغرب من دراسات عن الشرق في شتى المجالات: عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ وأدب وسياسة وفكر يسمى استشراقاً.

---

(١) ينظر: الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)د.محمد فاروق النبهان: ص ١١- منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
(٢) نقد الخطاب الاستشرافي، ساسي سالم الحاج: ص٢٠، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
(٣) الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب: ص٢ بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
(٤) الاستشراق والدراسات الشرقية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، إبراهيم على النملة: ص٢٢، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٣م.
(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق: ص٢٤، دار المنار ط٢-١٤٠٩ه-١٩٨٩م.

والمستشرق، هو: "كل من تخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد"(١).

وقيل هو: " ذلك الباحث الذى يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق"(٢).

وذكر أن "كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله :أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه".(٣)

نشأة الاستشراق وتاريخه:

تعددت الآراء حول بداية الاستشراق، فالبعض يعطى تاريخاً بعينه، والبعض الآخر يعطى حقبة أو عصر من العصور، بينما لا يعطى البعض زمناً، بل يعتمد على حوادث وغايات أراد الاستشراق الوصول إليها فجعلت هي البدايات(٤).

إذن من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق في أوربا، وإن كان بعض الباحثين النصارى بالمسلمين في الأندلس في القرن الثامن الميلادي هو الانطلاقة الحقيقية للاستشراق يرى: أن احتكاك ، لرغبتهم في فهم عقلية الفاتح وأفكاره واتجاهه وسبب قوته وتفوقه، ودستوره وعقيدته وفلسفته وأدبه (٥).

(١) لم الاهتمام بالاستشراق؟ شكري النجار: ص٣١٤، مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد ٣١.
(٢) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش: ص٢٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨، نقلاً عن: أ. ويتريش، الدراسات العربية فى ألمانيا: ص٧، دار النشر: فرانز شتاير بفسيادن، ١٩٦٢م.
(٣)الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضار، د. محمود حمدي زقزوق: ص٢٤، و معجم أسماء المستشرقين، يحيي مراد، ص٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤.
(٤) ينظر: الاستشراق في الأدبيات العربية (عرض للنظرات وحصر وراقى)، على إبراهيم النملة، ص١٣، ١٤. الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٤هـ-١٩٩٣م.
(٥)ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د.محمود حمدي زقزوق: ص٢٥، والاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره) د.محمد فاروق النبهان: ص٨.

والبعض يؤكد أن البدايات كانت من الأندلس التي قصدها بعض الرهبان الغربيين، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين، ومن أوائل هؤلاء: الراهب الفرنسي "جربرت" الذى أُنتخب بعد ذلك بابا لكنيسة روما (٩٩٩م) و"بطرس المحترم" (١٠٩٢- ١١٥٦م) "وجيراردي كريمون"(١).

كما يشير البعض إلى أن الغرب يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار من مجمع فيينا الكنسي الذى دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية، مثل: باريس وأكسفورد وغيرها في سنة (١٢٨٥م)(٢).

وقد مال إلى هذا الرأي الأخير كثير من الباحثين؛ لأنه يعطى تاريخاً بعينه وحادثة علمية محددة بالزمان والمكان والنتائج.

والحقيقة أن تلك البدايات السابقة كلها كما يقرر أصحابها ليست البداية الحقيقية للاستشراق، فالبداية الحقيقية للاستشراق قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث "بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها فتحركت الدوائر العلمية لإصدار نفائس العرب كتاباً بعد الآخر"(٣)، فاتسع المجال لطباعة الكتب العربية في أوروبا في كل التخصصات: الطب، والفلسفة، والنحو وغيرها من العلوم العربية، وأخذ العلماء والرهبان يتسابقون في دراستها، ونشرها والتعليق عليها، واهتم أباطرة الغرب بالمخطوطات العربية فلم يألوا جهدا في اقتنائها ثم طبعها على نفقتهم، وبإشراف

(١)ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق: ص٢٦، والاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص١٨، دار الوراق، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: الأدب العربي الحديث ومدارسه، محمد عبد المنعم خفاجي: ص٣٢٢، بيروت، دار الجيل.

(٣) ينظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص٧٧.

علمائهم مما أدى إلى ازدهار الدراسات الاستشراقية وظهور الدور الإيجابي للاستشراق .[١]

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت اتصال المستشرقين بالشرق حتى جاء القرن الثامن عشر – وهو العصر الذى بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية. فاتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد انعقاد المؤتمرات الدولية والتي أقيم أولها في فرنسا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر[٢].

وكذلك أصبحت تمتلك منطلقات للبحث، وجمعيات علمية، ومؤسسات أنشأت كراسي متخصصة في الدراسات الشرقية في بعض من المعاهد والجامعات العربية والغربية ،مما أتاح مجالاً واسعاً لنشر الدراسات الأكاديمية[٣]، وامتد نشاط المستشرقين ليشمل مجال المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية سواء في داخل أوروبا أم في الوطن العربي والإسلامي، كما ألفوا الكتب، وأصدروا الموسوعات العلمية"[٤].

وقد اهتموا بعد التوسع الاستعماري بدراسة جميع ديانات الشرق، وعاداته وحضارته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي الأكثر اهتماما[٥]. ومن مظاهر ذلك وجود الجمعيات مثل:

---

(١) ينظر: الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره) ،د. محمد فاروق النبهان: ص١٩.

(٢) ينظر الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ص١٨، ١٩.
(٣) ينظر: الاستشراق ،إدوارد سعيد، ص٧٤.
(٤) ينظر: مواجهة التحدي الاستشرافي من آفاق الدعوة الإسلامية في القرن الخامس الهجري، عبد الحليم عويس، ص٢٣٢، ٢٣٣، أعمال الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، منشورات وزارة الشئون الدينية.
(٥) ينظر: الاستشراق والمستشرقون، مصطفى السباعي، ص١٩، ٢٠.

"الجمعيات الأسيوية: وهي جمعيات أنشأها المستعمرون أول الأمر لدراسة شئون الدول التي يحكمونها، وتعرف لغاتهم وآدابهم ونفسياتهم، حتى يكون حكمهم مبنيًّا على أسس متينة، ومن أقدم هذه الجمعيات تلك التي أنشئت في بتافيا عاصمة جاوا سنة ١٧٨١، ومن أشهرها الجمعية الأسيوية الملكية بلندن، وقد أسست سنة ١٧٢٣، ونظيرتها الفرنسية ١٨٢٠، ولكلٍّ من الجمعيتين مجلة مشهورة تعنى بالأبحاث الشرقية والإسلامية والعربية، وتقوم أحيانًا بطبع كتب لم تنشر من قبل، أو إخراجها بتعليقات قيمة، ومن ذلك نشر المجلة الأسيوية الإنجليزية لمقامات الحريري، وترجمان الأشواق لابن عربي "ترجمها نيكلسون"، وقد اعتنى الفرنسيون بخاصة في مجلتهم بالمذاهب الإسلامية؛ فبحثوا في الدروز والشيعة والإسماعيلية والوهابية والنصيرية، وما شاكل ذلك".[1].

(١)ينظر: في الأدب الحديث،د. عمر الدسوقي: ٣٧٧/١دار الفكر العربي- الجزء الأول عام ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

المبحث الأول

عالمية اللغة العربية عند العرب

المبحث الأول

عالمية اللغة العربية عند العرب

مدخل:

لابد من دراسة واعية لتاريخ اللغة العربية الطويل فلا يمكن أن نتعرض لواقع اللغة وعالميتها دون أن ننظر في عجالة إلى تاريخ العربية وحالها عبر العصور المختلفة ، لأنه صورة واضحة للتطور اللغوي الذي انطبع بطابع المجتمع العربي ، فهو مثال صادق للتفاعل المجتمعي مع لغته المعبرة عنه، فكان لكل عصر صورة لغوية تنقل حضارته، وترقى برقيه، وتنحدر بانحداره ،كما أنه الشاهد على عالمية اللغة العربية منذ نزول القرآن الكريم بها فهو الوثيقة والسجل الذي سجل للعربية عالميتها وانتشارها منذ القدم .

١- حال العربية قبل الإسلام:

نشأت اللغة العربية النموذجية المشتركة بين العرب قبل الإسلام فشملت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وهذه الجزيرة كانت مهداً للناطقين بهذه اللغة وكان العرب في ذلك الحين يعيشون في بيئة قبلية ، في صورة تجمعات بدوية حول الماء والمراعي ، باستثناء مكة ويثرب حيث النشاط التجاري . كما كانوا أمة مفتتة في بيانها ، يعتمدون على الذاكرة والحفظ والسماع والرواية في نقل الشعر والنثر بين القبائل.[١]

كانت اللغة العربية في العصر الجاهلي تعبر عن حاجات القوم وما تجود به قرائحهم أو يجري في مخيلاتهم من صور المعاني، فكانت لغة شعرهم ونثرهم المعبر عن حالهم ، فهي السجل الذي سجل حياة العرب وتاريخهم، وحفظ الأدب الجاهلي بكل فنونه ،فكانوا يستعملونها في محافلهم وتجمعاتهم الدينية والتجارية

(١) ينظر: في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين : ص٢٤٧ – مؤسسة الرسالة طـ٥ – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

والسياسية والأدبية ، يحجون إلى الكعبة ويؤدون المناسك الخاصة بهم في الجاهلية، ويجتمعون في أسواقهم التي كانت بمثابة مؤتمرات ثقافية يتم فيها المباراة والمنافسة أدبياً، وكان أشهرها: (عكاظ) وهي السوق العامة للعرب الذي كان يعقد قرب مكة في شهر ذي القعدة، ومن بعده سوق (المجنة)، ثم سوق (ذي المجاز) في أوائل ذي الحجة، ثم سوق (خيبر) بعد موسم الحج ، فكانت العربية المشتركة هي التي يتفاهم بها وفود القبائل في الأسواق، وينفعلون بحسب جرسها وجمال موسيقاها، ويتنافسون في إتقانها نظماً ونثراً.(١)

وكان العربي يعتز بلغته كل الاعتزاز، حيث كان الرجل منهم يقاس مركزه بين قومه بمقدار إتقانه لها، فتميز العرب في ذلك الحين بلغتهم المشتركة عن الأمم الأخرى من فرس ورومان ويونان ، ومن هنا نشأت القومية العربية قبل الإسلام عل أساس اللغة وحدها .(٢)

ولهذا اعتبر العربي أن كل ما يخالف سمعه من غير العربية يعد لكنة أو عجمة .

٢- حال العربية بعد الإسلام:

ثم جاء الإسلام وشرفت العربية وعظم شأنها بنزول القرآن الكريم بها فاكتسبت الخلود والعالمية فصارت لسان الدعوة للإسلام وتعاليمه وشريعته .

ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها ، واتساع مذاهب بيانها وكثرة الأغراض التي يتسابق إليها الخطباء والكتاب. (٣)

---

(١) ينظر: دراسات في العربية وتاريخها، الشيخ محمد الخضير حسن: ص٢١،جمعه وصححه علي الرضا التونسي-المكتب الإسلامي –مكتبة دار الفتح، وفقه اللغة، د.علي عبد الواحد وافي :ص١١٦، ١١٧-دار نهضة مصر، و اللغة بين القومية والعالمية ،د. إبراهيم أنيس: ص ١٧٥، دار المعارف بمصر عام ١٩٧٠م.

(٢)ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس : ص ١٧٦ .

(٣) ينظر: دراسات في العربية وتاريخها ، الشيخ محمد الخضير حسن : ص١٧ .

ونهى الإسلام عن العصبية ودعي إلى السماحة حيث جمع شمل المسلمين على كلمة واحدة ولغة واحدة ، بل نلحظ تلك السماحة بوضوح في دفاعه صلى الله عليه وسلم، عن سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي ، حيث قرر أن كل من يتكلم بالعربية فهو عربي ، فقال صلى الله عليه وسلم: (لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى) [١] ، كما أقر صلى الله عليه وسلم بأداء العربية على حسب ما تستطيع ألسنة الناس من أصحاب اللهجات العربية أو غيرها،[٢] وذلك من باب التيسير على الأمة الإسلامية .

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».[٣]

وكان ظهور الإسلام وما أعقبه من فتوحات إسلامية لمناطق واسعة أهم الأحداث التي نقلت اللغة العربية من مجالها البدوي المحدود في شمال الجزيرة العربية لتصبح أهم لغات الحضارة في العصور الوسطي .[٤]

ولقد سجل التاريخ اكتساح الفصحى منذ الفتوحات الإسلامية لغات البلدان التي افتتحها المسلمون شرقاً وغرباً ببلاغتها وبيانها ، فحلت محل الفارسية في إيران ، والنبطية والآرامية في العراق، والسريانية واليونانية في الشام ، والقبطية

(١)أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٣٤٨٩)، (٤٧٤/٣٨). ن: مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس : ص١٨٠: ١٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك/ بدء الخلق، ب/ ذكر الملائكة ، حديث رقم (٣٢١٩) (١١٣/٤) ن: دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ، ومسلم في صحيحه،ك/ صلاة المسافرين، ب/ بيان أن القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (٢٧٢) (٥٦١/١) تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤)ينظر: اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي : ص ٤٥،دار الثقافة للطباعة والنشر عام ١٩٧٨م .

واليونانية في مصر، والبربرية واللاتينية في المغرب، واللاتينية وفرعها من الرومانية في الأندلس.(١)

فتغلبت العربية في تلك البلاد وأضحت لغة الدولة والدنيا والدين مع أن العرب كانوا قلة في بلادهم بالنسبة لأهل البلاد التي دخلت الإسلام إلا أن الحضارة والثقافة الإسلامية رجحت الكفة العربية. (٢)

وباستقرار الفتوحات الإسلامية اتصل العرب بالأمم الأخرى وغزت العربية ألسنة الناس في الأمصار، كما غزى الإسلام قلوبهم ونفوسهم ، وفي عهد الدولة الأموية قوى اعتزاز العرب بلغتهم واشتد تمسكهم بها، فعربوا الدواوين فتحولت من الفارسية إلى العربية في فارس ، ومن الرومية الى العربية في الشام، ومن القبطية إلى العربية في مصر، كما أن الدولة الأموية كانت تعمل على نشر اللغة العربية مع نشر الإسلام. (٣)

واستقرت القومية العربية في عهد الدولة الأموية بل بلغت ذروتها ، وامتدت في عهد عبد الملك بن مروان، فشملت إسبانيا وشمال أفريقيا ومصر والشام وبلاد العراق مع شبه الجزيرة العربية ،وكان انتشار هذه القومية على قدرا نتشار اللغة العربية واستقرارها في تلك المناطق.(٤)

وأكد د. ابراهيم أنيس على انتشار العربية في مصر حيث أقبل المصريون على لغة العرب أسرع من إقبالهم على دين العرب ، فعمت العربية كل بلاد مصر

(١) ينظر: بين الفصحى والعامية المصرية ، د. شوقي ضيف: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،ج٨١، ص ٧٥ .
(٢) ينظر: علم اللغة العام، د. توفيق محمد شاهين: ص١٢٩، مكتبة وهبه ط١- عام ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.
(٣) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس: ص ١٧٦ ، واللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي : ص٤٨.
(٤) ينظر: السابق ص ١٨٩ .

على الرغم من احتفاظ بعض أهلها بالمسيحية .[١]،على عكس موقف الفارسية من العربية في بلاد فارس ، إذ أقبل الفرس على الإسلام أكثر وأسرع مما أقبلوا على العربية ، ولذلك ظلت الفارسية سائدة في الجهات النائية في بلاد الفرس ، بل كانت سائدة أيضا في بعض مناطق الدولة العربية ، كلغة ثانية للعلم والحضارة.[٢]

وكان العصر العباسي في القرن الثاني الهجري الذي وصف بأنه عصر التدوين وذلك لتحضر البيئة الجديدة حيث ورثت عن حضارات الأمم السابقة الاعتماد على القلم والقرطاس ، فأقبل الناس على تعلم القراءة والكتابة وظهرت الحاجة إليها في كل الشئون فدون وسجل التراث العربي الإسلامي خوفاً عليه من الضياع ، فدرس وألف فيه ، وكان هذا من فضل الله علينا حيث خلفوا لنا جهوداً علمية عظيمة، وتراثاً عريقاً.

وفي القرن الثالث الهجري ؛ ألفت كتب كثيرة لتعليم اللغة ، فأصبحت اللغة تؤخذ من الكتب لا من البدو ، ومن ذلك كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت٢٤٤ هـ) ، وكتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) وغيرهما.[٣]

وقد شهد بعض الأعاجم الذين عرفوا اللغتين بأن العربية أرقى مكانة وألطف مسالك ، قال ابن جني(**ت ٣٩٢هـ**) في خصائصه : " وذلك أنا نسأل علماء العربية مما أصله عجمي وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه. سألت غير مرة أبا علي عن ذلك، فكان جوابه عنه نحواً مما حكيته." [٤]

وكانت بغداد العاصمة للدولة الإسلامية لها الزعامة بوصفها مقراً للخلفاء ، فكانت منارة الشرق تركزت بها الحركة الأدبية والعلمية [٥]،حيث كانت تموج بعلماء

(١) ينظر: السابق: ص١٩٠ .
(٢) ينظر: السابق: ص ٢٧٨ .
(٣) ينظر: اللغة العربية عبر القرون ، د. محمود فهمي حجازي: ص٥٣،٥٥ .
(٤)الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي:١/٢٤٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
(٥)ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ، د. إبراهيم أنيس : ص ٢١٧ .

العرب وفصحائهم والمترجمين من العرب وغيرهم بجميع المجالات العلمية والمعرفية، وكذلك اقتدت قرطبة في المغرب العربي ببغداد في الشرق وأخذت عنها الكثير، وتبوأت مركزاً علمياً .[١]

وهكذا ظل ازدهار الشرق العربي والغرب العربي في بلاد الأندلس ، واستطاعت بغداد وقرطبة أن يقدما للعلم والعالم حضارة عربية وإسلامية صنعتها جهود عربية قامت عليها الحضارة الأوروبية فيما بعد .

٣- العربية بعد عصر التدوين:

قد دخلت العربية بعد عصر التدوين في عصور متلاحقة مختلفة ما بين نهوض و تعثر ، وقد بليت الحضارة الإسلامية بكارثين مدمرتين:

كارثة المغول الزاحفين من الشرق ، وكارثة الصليبين الزاحفين على الأندلس ، حيث دمرا كل ما مروا به من الحضارة العربية الإسلامية.[٢]

ففي مستهل المائة السابعة – في أواخر الدولة العباسية – تبدل حال العربية إلى ضعف وسبات طويل، وازداد ذلك في عصور المغول وما تخلله من هدم وتدمير، وكذلك عصور المماليك والأتراك .

فتعاقبت على الأمة العربية ولغتها عصور مظلمة لا تقل مدتها عن خمسة قرون ، حيث توالت سيطرة الدول الأعجمية بل الوثنية أحياناً على بلاد العرب.[٣]

ولكن سجل لنا التاريخ ومضة من النشاط العلمي واللغوي الذي تمثل في كثرة المدارس في مصر والشام خلال حكم بني أيوب، وكذلك معاهد التعليم القديمة في

---

(١)ينظر: اللغة والحضارة د.محمد بديع شريف: مجلة اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٦٨ ، ص ١٠٠ ، شوال ١٤١١ هـ - مايو ١٩٩١م .

(٢) ينظر: السابق ص ١٠٣.

(٣) ينظر: بعث العربية ، السيد محمد رضا : مجلة اللغة العربية بالقاهرة ،عدد ٨ ، ص١٧ ، عام ١٩٥٥م.

العراق ، إضافة إلى الجامع الأزهر الشريف فاستأثر بالمكانة الأولى بين مساجد مصر ومعاهدها العلمية ، فحفظت القاهرة تراث العربية،[١] ثم نشأت أكبر حركة تأليف عرفتها العربية في كل تاريخها، فكأنها حركة إنقاذ للتراث الفكري الذي احترق وغرق منه الكثير أثناء غارات المغول وتخريبهم لبغداد .

واتسمت مؤلفات هذا العصر بالجمع الشامل وهو ما عرف بالموسوعات مثل: (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت٧٢٣ هـ)، والموسوعة التاريخية (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل العمري (ت٧٨٤هـ) ، ومؤلفات جلال الدين السيوطي العديدة في مختلف العلوم.[٢]

٤- في العصر الحديث:

استمرت الحركة الفكرية تسير ببطء، في ظل الخلافة العثمانية، وامتد سلطان الأتراك على بلاد العرب كلها ، ثم انتقل الشرق والعالم العربي بعد ذلك إلى مرحلة أخرى تأثرت بالحضارة العربية والثقافة الغربية من خلال البعثات العلمية ، وكانت مصر أسبق الجميع إلى العناية بهذا الشأن، فأراد أبنائها التجديد والإصلاح ، وكذلك سوريا ولبنان ، حيث نبغ عدد غير قليل من الشاميين في الأدب واللغة وكان منهم : آل اليازجي والشدياق وآل البستاني ، وغيرهم.

اهتمت الأقطار العربية بالدراسات اللغوية العربية ، وكانت مصر بمثابة الخط الأول من خطوط الدفاع عن معاقل الثقافة العربية ، فكان بها خيرة المصلحين العاملين على الرد لكل ما هو مضر بلغتنا وثقافتنا ، بل كان من أنجح الوسائل التي استخدمها المصلحون للنهوض بالعربية في هذه الفترة العناية بإحياء تراث الحضارة الإسلامية ، من كتب نادرة ومخطوطات نفيسة ، والاهتمام بنقل طرائف

(١) ينظر: اللغة والحضارة، د.محمد بديع شريف :مجلة اللغة العربية بالقاهرة العدد ٦٨، ص ١٠٣ .

(٢) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ، د. إبراهيم أنيس: ص ٢٢٣ .

العلوم والفنون إلى العربية . وإنشاء دور للنشر ، ودور للكتب وتشجيع حركة النشر والتأليف ، إلى غير ذلك من الوسائل التي زادت في ثروتنا الثقافية واللغوية، وخلصت العربية من شائبة الإسفاف والابتذال التي اتسمت بها في مرحلة الضعف والركود السابقة.(١)

وازدهرت الفصحى الحديثة على لسان الزعماء والخطباء فقامت نهضة أدبية كبرى في مصر، حيث أفرد للأدب مجلات أسبوعية وشهرية ، مثل المقتطف والهلال ، والرسالة وغيرهم،

وكذلك ازدهر الشعر في العصر الحديث في ظل النهضة الأدبية ، وكان رائده محمود سامي البارودي الذي رد للشعر المصري حيويته ،وخلصه من أثقال البديع وقيوده ، وخلفه حافظ وشوقي، فكان شعرهما يفيض بالعواطف الوطنية والدينية والقومية (٢).

ومن خلال ذلك العرض التاريخي الموجز لحياة اللغة العربية يكون أثر الإسلام واضحاً على اللغة حيث جاء فهذبها ورقق عباراتها وصقل ألفاظها وجدد معانيها لهذا استمرت تنمو وتتطور وتزدهر في عهد الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ، ثم أخذت تركد وتغفو في عصر الفتن والغزو والاحتلال والاستعمار للبلاد العربية ، إلى أن تغير الأمر فعادت في القرن التاسع عشر تنشط وتنهض وتسلك سبل الحياة في قوة وسيادة ، لتواكب التقدم العلمي الحضاري وتحارب ما انتشر من تغريب ودعوات هدامة ، وتؤكد على مكانتها محلياً وعالمياً فصارت واحدة من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

(١) ينظر: بعث العربية، السيد محمد رضا: مجلة اللغة العربية بالقاهرة: عدد ٨ ، ص١٨ ،١٩.
(٢)ينظر: بين الفصحى والعامية المصرية ، د. شوقي ضيف: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٨١، ص ٧٧- جمادى الآخرة١٤١٨ه- نوفمبر١٩٩٧م .

أولاً: مزايا وخصائص اللغة العربية:

تمتاز اللغة العربية بخصائص ومزايا جعلتها لغة غنية واسعة ، تستطيع أن تواكب التطور الحضاري والفكري ، وهذا ما كان منها عبر العصور الإسلامية المختلفة ،فسجل التاريخ استيعابها لكل الحضارات خلال الفتوحات الإسلامية ، وأيضا نقلها للعلوم الإنسانية عن طريق الترجمة والتأليف فيها، وهذا ما شهد بارتقاء العربية وتميزها وعالميتها ،وسوف نتناول أهم تلك الخصائص فيما يلي بوصفها مقومات لعالميتها:

١- **الكمال في عناصرها اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية:** لقد كان بلوغ اللغة العربية هذه الدرجة من الكمال الذي أعدها لنزول القرآن الكريم ميزة جليلة تميزت بها العربية على أخواتها في الفصيلة السامية ، من عبرية لغة التوراة والآرامية لغة الأناجيل ،فشاء الله أن يكون القرآن الكريم هو آيته الكبرى ، الباقية أبد الدهر ، بما جمع من كمال بيانه ، وحجة الله به، وحكمة الشرع فيه ، وبقائه على الزمن محفوظاً بلسان عربي مبين ، هداية لكل عصر ، وذكرى للمتقين، ورحمة للعالمين ، فهو آية خالدة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .[١]

ويقول د. أنيس فريحة " ومن الأمور المذهلة حقاً ظهور العربية فجأة على مسرح الحضارة العالمية لغة تامة نامية متكاملة في صرفها ونحوها وبيانها وسعة مفرداتها ، حتى إن كثيرين من المستشرقين يرفضون تسمية العرب القدامى بالجاهليين ، لأن من كانت لغته العربية على ما تعهدها في القرآن الكريم ، وفي الشعر الجاهلي الرقيق ، لا يجوز أن ينعت بالجاهل".[٢]

(١) ينظر:علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين ص ٢٤١، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، عام ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(٢) نظريات في اللغة، د.أنيس فريحة: ص ٦٦ – دار الكتاب اللبناني – بيروت – سلسلة الألسنية ٣ – ط ١ – ١٩٧٣م.

٢- **الخلود والبقاء:** انفردت العربية بظاهرة الخلود التي لم تتوفر لغيرها من اللغات الإنسانية القديمة والحديثة ،وذلك لأن القرآن الكريم ضمن للعربية الثبات والصيرورة بشقيها : الأول المنطوق المسموع المتمثل في الأصوات وصفاتها والكلمات وأبنيتها ، والشق الثاني : المكتوب المقروء المتمثل في الكتابة العربية ورسم الخط العربي ، فبفضل القرآن ثبتت الكتابة العربية ، إذ كانت بعض الشعوب التي أسلمت لم تحافظ على العربية بوصفها لغة تعامل يومي ولكن حافظت على استخدام الخط العربي لتدوين لغاتها مثل الفارسية والأردية والماليزية، وإن تخلى البعض بمرور الزمن عن هذا الخط لأسباب مختلفة مثل ما حدث في اللغة التركية في آسيا، واللغتين السواحلية والهوسا في أفريقيا .[١]

وهذا الارتباط المقدس جعل التمسك بالفصحى أبدي والدراسة بها مستمرة ، لكي نفهم بها القرآن الكريم وما دار حوله من علوم و دراسات ، كما كان الشعر العربي القديم مفيداً في توضيح معاني القرآن الكريم ،ولا عجب في ذلك فقد قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنه " الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف في القرآن ، الذي أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانه ، فالتمسنا معرفة ذلك منه". [٢]

٣- **الجودة الصوتية والدقة في النطق:** ويشير العقاد إلى أنه: بنظرة موضوعية وفقاً لمقاييس علم الألسنية الحديث ، تكون العربية بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها لأوفى اللغات جميعا بمقياس جهاز النطق في الإنسان الذي تستخدمه العربية على أتمه وأحسنه دون إهمال وظيفة واحدة من وظائفه كما يحدث ذلك في أكثر اللغات، فلا التباس في حرف من حروفها بين مخرجين ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين، كما أخرجت العربية الحركات الصوتية الثلاث

(١) ينظر: العربية تطور وتاريخ (دراسة تاريخية في نشأة العربية والخط وانتشارهما)، د.كريم زكي حسام الدين : المقدمة، مكتبة النهضة المصرية – ط١ -١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.
(٢) الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي: ١/ ١١٩ – القاهرة ١٣٦٨ هـ .

كلها مستقيمة مميزة بين الفتح والضم والكسر، فمضت فيها فصاحة النطق على إبطال الإمالة بين هذه الحركات، كما يشاء معنى(الإفصاح) وهو في جوهره إزالة اللبس في الأصوات والحركات. (١)

٤- **رسم الخط العربي: تحتوي اللغة العربية على مجموعة كبيرة من أنواع الخطوط التي تتميز بجمالها، ويعتبر الخط العربي شكلاً من أشكال الفن** ، ويؤكد العقاد أنه يشهد للأبجدية العربية بالوفاء بكتابة اللغات الأخرى ، إذا كتبت بها العربية والفارسية والتركية والأردية والإسبانية، وهي تنتمي إلى الأصول السامية والطورانية والهندية والجرمانية ، وقد وجد فيها الكاتبون ما ينوب عن الحروف الملتبسة ولم يوجد في الأبجديات المختلفة ما ينوب عن حروف العربية الصريحة في مخارجها بما استوفته من جهاز النطق الإنساني من كل آلة من آلاته.(٢)

كما أن أوزان الألفاظ العربية أكسبت الكتابة العربية جمالاً مثل الألفاظ التي تكون على وزن واحد مثل (كاتب – قانع – شارب) و (مكرمون – مقدمون – مطعمون) فإذا ركبت هذه الكلمات في تراكيب كلامية كان منها ما يشبه الزخارف العربية فكأن الكتابة صورة فنية مرئية ممتزجة.(٣)

٥- **الإعراب** : تمتاز الفصحى بالإعراب والتمييز بين المعاني، حيث تظفر الجملة العربية بحرية كبيرة ، في ترتيب أجزائها ، بسبب وجود الإعراب، والاكتفاء به في كثير من الأحيان، للدلالة على وظيفة الكلمة في الجملة ، فتتعدد أشكالها ، فجملة مثل : (ضرب محمد علياً) يمكن أن تقال في العربية الفصحى، بأوجه

(١) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد : ص٨ ، مكتبة نهضة مصر، عام ١٩٥٥ م .
(٢) ينظر: السابق.
(٣) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية د. محمد المبارك : ص ٢٨٤.

أخرى ، (ضرب علياً محمد) أو (محمد ضرب علياً) أو (علي ضرب محمداً) ، تبعاً لاختلاف المقصود من الكلام.(١)

ويرى ابن فارس أن الإعراب هو الفارق بين المعاني، فيقول:" ألا ترى أن القائل إِذَا قال: "مَا أحسن زيد" لَمْ يفرّق بَيْنَ التعجب والاستفهام والذمّ إِلاَّ بالإعراب. وكذلك إِذَا قال: "ضرب أخوك أخانا" و"وَجْهُك وجهُ حُرٍّ" و"وجهُك وجهٌ حرٌ" وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ من الكلام المشْتَبه." (٢)

فهو الفارق بين المعاني، ولولاه ما ميزنا فاعلا من مفعول ، ولا مضافا من منعوت ولا تعجبا من استفهام ..إلى آخره .

وقد أشار العقاد إلى أن: الإعراب في العربية واف مقرر القواعد يعم أقسام الكلام أفعالاً وأسماء وحروفاً حيثما وقعت بمعانيها من الجمل والعبارات، لأن علامات الإعراب تدل على معناها كيفما كان موقعها من الجملة المنظومة فهذا الإعراب المفصل في هذه اللغة الشاعرة هو آية السليقة الفنية في التراكيب العربية المفيدة ،وهذا على عكس غيرها من اللغات التي شاع فيها الإعراب كالعبرية والحبشية ،فكان الإعراب فيها قاصراً على مواضع محدودة ولا يصاحب كل كلمة ولا كل عبارة كما في العربية.(٣)

وهذا ما قرره المستشرق الألماني (يوهان فك) إذ يقول:" لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية ، التي فقدتها جميع اللغات السامية- باستثناء البابلية القديمة – قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي . وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة

(١) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه – د. رمضان عبد التواب : ص٢٠٧.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ص٣٥، ن: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧.
(٣) ينظر: اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد: ص١٨، ١٩.

التخاطب الحي ، فأشعار عرب البادية – قبل الاسلام وفي عصوره الاولى – ترينا علامات الاعراب مطردة كاملة السلطان."[١]

كما يشير يوهان فك إلى جملة من الآيات التي يتضح فيها دور الإعراب في توجيه معانيها، فيقول : " فإن حرية الحركة في بناء جمل القرآن لا تترك أثراً للشك في إعرابه."[٢]

فيستشهد بمواقع الكلمات[٣] في الآيات التالية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. [٤]

وقال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾.[٥]

وقال أيضا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾.[٦]

وقد اجتمعت في العربية قواعد النحو العربي التي هي بمقاييس علم الألسنية الحديث تميزت بأنها تابعة لأغراض التعبير والدلالة، أي أغراض المتكلم والسامع، فإنما يجري فيها الاختلاف بين الأوزان والصيغ لبيان الاختلاف في مدلول الكلمة أو في قوة الدلالة و درجتها، وقد تشاركها اللغات في هذا ، و لكنها لا تجمعها كما جمعتها و لا تفوقها في واحدة منها.[٧]

وعلى الرغم مما أثير حول ظاهرة الإعراب في العربية من جدال وخلافات بين العلماء إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن العربية امتازت بهذه الخاصية التي أكسبتها مرونة وحرية وتنوع في عرض المعاني الأساليب .

---

(١) العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)،يوهان فك ، ترجمة : د.رمضان عبد التواب : ص:١٥، مكتبة الخانجي – القاهرة ،عام ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ،
(٢)ينظر: السابق .
(٣)ينظر: السابق .
(٤) سورة فاطر: جزء من آية٢٨ .
(٥)سورة التوبة: جزء من آية٣ .
(٦)سورة النساء: جزء من آية ٨ .
(٧) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد ، صـ ٨ .

٦-**تميز العربية في الخصائص التركيبية للجمل:** ويذكر العقاد أن اللغة العربية أوفي وأكمل من اللغات الأوربية في تقسيم الجملة إلي اسمية وفعلية وشبه جملة ، فتمتاز بالدقة باستخدام كل عبارة لموضعها الذي لا لبس فيه ، فيشير إلى" أن الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية ، وليس تقديم الفعل علي الفاعل فيها عجزاً عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقسيم للكلام علي حسب مواضعه، وتصحيح لموقع الفعل وموقع الفاعل من إرادة المتكلم و فهم السامع ... ومتي ثبت لنا الفرق بين موقع الفعل والفاعل في الجملتين الاسمية والفعلية ، فالاكتفاء بالجملة الاسمية كما تقع في كلام الأوربيين نقص منتقد وليس بالمزية التي تدل على الكمال والارتقاء".[١]

٧- **الاشتقاق:** امتازت العربية بخاصية الاشتقاق وهو: "أَخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِر." [٢] فهو عملية خلق وإبداع في اللغة ، فمن الجذر الواحد نستطيع نظرياً ، أن نشتق أكثر من كلمة بزيادة عناصر صوتية أو إشارية أو ضمائرية ، في أول الكلمة ، أو في وسطها ، أو بإضافتها الى آخرها[٣].

فهو وسيلة رائعة لتوليد الألفاظ وللدلالة على معاني جديدة ، فبه تكثر ويتوالد بعضها من بعض باستمرار، مما يجعل من اللغة جسماً حيا تتوالد أجزاءه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة.[٤]

---

(١) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد ، صـ٤٤ .

(٢)المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ):٢٧٥/١، تح: فؤاد علي منصور- دار الكتب العلمية – بيروت - ط١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: نظريات في اللغة : أنيس فريحة ، ص ٦٨ .

(٤) ينظر: فقه اللغة العربية وخصائص العربية ، د. محمد المبارك : ص ٢٧٠

فالاشتقاق مظهر من مظاهر منطقية اللغة وموافقتها للطبيعة في إرجاع الجزئيات إلى الكليات، وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع، والألفاظ العربية هي أجناس وأنواع مستمرة في وجودها تتميز باختلاف تركيبها الصوتي الذي يجري على نظام مطرد ، وفي اتجاهات محددة ، وهذا التركيب الذري للكلمات العربية والانتماء إلى أصول ثابتة تتفرع عنها هو الأساس الصحيح الذي بنى عليه اللغويون العرب معاجم اللغة. وليس هذا في اللغات الأخرى ما يشبه العربية أو يقاربها من هذه الناحية.(١)

إذن هو الصلة بين اللغة والحياة في مختلف مجالاتها، ففي صدر الإسلام والعصور التالية والعصر الحديث ظهر عدد كبير من الألفاظ لأداء المعاني الجديدة وذلك باشتقاق لفظ جديد من مادة قديمة كالجهاد والزكاة والعامل ، والتأليف والتصعيد والتصدير ، والاذاعة والاشتراكية .....الخ (٢).

فاستمرار معالم اللغة العربية يتجلى في ثبات أصول ألفاظها ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية وهو يقابل استمرار الهوية العربية وقوميتها خلال العصور المتلاحقة.

وقد تناول القدماء والمحدثون ظاهرة الاشتقاق وأنواعه في دراسات عديدة يضيق المقام هنا عن ذكرها.(٣)

٨-**السعة في المفردات والصيغ والأساليب:** اتسمت العربية باتساع موادها ، فالمعني الواحد وضعت له ألفاظ متعددة لتكثر وسائل التفاهم وتتنوع، قال ابن فارس "وممّا لا يمكن نقْله البتَّةَ: أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير

(١)ينظر: السابق: ص ٢٧٤.
(٢)ينظر: السابق: ص ٨٠
(٣) ينظر: فقه اللغة العربية ، د. إبراهيم نجا ص٤٨ وما بعدها ، ط ٢ ، عام ١٩٧١ م .

ذَلِكَ من الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنُخرج لَهُ خمسين ومائة اسم".[١]

وهذا يمنح الكاتب مرونة واسعة في استخدام أكبر عدد ممكن من المفردات التي تخدم السياق العام الذي يذهب إليه.

وقد استشهد الشيخ محمد الخضر حسين "بقول معاوية:(من لم يكن من بني عبدالمطلب جواداً فهو دخيل ومن لم يكن من الزبير شجاعاً فهو لزيق ومن لم يكن من ولد المغيرة تياهاً فهو سنيد..) فخلص كلامه من كراهة التكرار وارتفع شأنه في الحسن درجة." [٢]

وأيضا مما يشهد بارتقاء العربية وسعة غايتها في البيان تعدد أساليبها، وكثرة طرق إفادتها فتنوع العبارات في الأسلوب يتبعه تنوع في المعاني المرادة في نفوس المخاطبين ، وإن كان الغرض واحداً فصورة المعني الذي يستفاد بطريق المجاز أو الكناية يغاير الصورة التي تؤدي بلفظ الحقيقة أو القول الصحيح ، أو استخدام أساليب الخبر والإنشاء.. إلي آخره من تنوع الأساليب التي أخذ كل شاعر وكاتب منها طرق يسبك بها نظمه أو تحريره.[٣]

كما تمتاز العربية بتعدد صيغها وأسرارها في دقة أداء المعني فعلى سبيل المثال من مزايا العربية دلالتها على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل الثلاثي والرباعي أو الخماسي أو الفعل المزيد علي الجملة ، أما اللغات الأخرى تدل على المبني للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين المعلوم والمجهول، فتفي العربية بالمعاني المقصودة علي حسب إرادة المتكلم والسامع ، أو على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين.[٤]

(١) الصاحبي، ابن فارس: ص ٢١،٢٢ .
(٢) ينظر: دراسات في العربية وتاريخها ، الشيخ محمد الخضر حسين ، ص١٤٤
(٣) ينظر: السابق : ص١٣٦، ١٣٧.
(٤) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد، ص ٤٦ ، ٤٧ .

٩-**تمتاز اللغة العربية بالخاصية الموسيقية:** أي القوة الموسيقية التعبيرية للحروف والكلمات؛ لأن جميع ألفاظ العربية ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية، التي يكون بينها تألف في الجرس و النغمة والانسجام ، والكلام العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموع من الأوزان ولا يخرج عن أن يكون تركيباً معيناً لنماذج موسيقية ، بل قد بلغت هذه الخاصية الموسيقية ذروتها في التركيب القرآني الرائع . حيث تتناسق المعاني والنغمات والفكرة والجرس ، مثل الآيات الكريمة التي تصور لك عدو الخيل في سورة العاديات: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾.[١]

١٠-**العربية أقدم اللغات:** تمتاز العربية بالأصالة و العراقة التي تستلزم قدمها ، إن اللغة العربية أقدم اللغات الحية جميعاً فهي أعرقها تطوراً و تدرجاً في الاستعمال على حسب الحاجة ، وذلك لاحتوائها على الضمائر والأسماء الموصولة ، وبقاء أصولها جميعاً فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها مع التمييز بين الضمائر في حالات الإفراد والجمع لا يعرف لغيرها بعمومه ودقته وتنوع تصريفاته ، نحو (هم ، هن) إلى آخره .[٢]

ويري العقاد أن اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة، و ذلك بالقياس إلى غيرها ، عن طريق ظاهرة الاشتقاق فيقول: " تلك الوسيلة هي اشتقاق أسماء الحيوان فيها، فإن اللغة التي ترجع الأسماء فيها إلى مصدر مفهوم من مصادرها، تسبق اللغات التي تتلقي هذه الأسماء جامدة أو منقولة بغير معنى يؤديه لفظها الدال عليها في أحاديث المتخاطبين بها".[٣]

(١)ينظر: فقه اللغة و خصائص العربية، د. محمد المبارك ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
(٢) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة و الأدب ، عباس محمود العقاد ، ص ٥٢: ٥٥ .
(٣) السابق: ص ١٢ ، ١٣ .

فيقال أسد الكلب للصيد أغراه به ، وأسد عليه اجترأ ، وآسد بين القوم أفسد بينهم. ، وهكذا عشرات الأسماء الي تدل علي وجود هذه اللغة في أقدم عهد عرفت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات، وقد كشف الحفريون من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التي كانت تستعمل في مثل موقعها من الجملة العربية قبل ثلاثة آلاف سنة .إذن من حقيق القول بقدم اللغة العربية.(١)

ونجمل مزايا العربية وخصائصها فيما ذكره الشيخ محمد علي النجار: " اللغة العربية من أوسع اللغات وأغناها وأدقها تصويرا ، وأوسعها مذهبا : وسعت جميع الأغراض التي تناولها البشر ، ولم تضق ذرعاً بجميع العلوم والفنون. وتقبلت بصدر رحب ثمرات قرائح الفحول ، ونتاج أفكار الفلاسفة والحكماء من سائر الأمم. وكان أن نزل القرآن الكريم بها: أبلغ كلام وأعلاه طبقة ، وأسماه بلاغة، وأسمعه فصاحة، وأفرعه بيانا وأبرعه افتناناً." (٢)

ثانياً: عالمية اللغة العربية عند العرب:

اللغة العربية عنوان الحضارة العربية لسان علومها و آدابها تمثل الأمة العربية فهي جوهر كياننا القومي العربي الإسلامي ، لغة حية ذات تاريخ طويل ، تربط أفريقيا بآسيا .

إن التسليم بالحقيقة التي سجلها التاريخ من انتشار الإسلام في عصره الذهبي على مساحة تمثلت فيما بين أسوار الصين شرقاً ومشارف باريس غرباً، يستلزم التسليم أيضاً بعالمية اللغة العربية طوال تلك القرون، لأنها لم تكن لغة الدواوين الرسمية فقط ، بل كانت لغة القرآن الكريم الكتاب المنزل من عند الله المعجز بكل

(١) ينظر: السابق:ص١٩ .
(٢)عوامل تنمية اللغة العربية، د. توفيق محمد شاهين: ص ٤٠مكتبة وهبه ط٢ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

حرف فيه الذي حرص كل من دخل الإسلام على حفظه و تعلم لغته لإدراك أوجه إعجازه و بيانه و فصاحة تعبيره و بلاغة معانيه ، و شرائعه و قيمه التي خاطب بها البشرية كلها ليحمل رسالة الدين الإسلامي، فلا غرو إذن أن تكون عالمية اللغة العربية جزءاً من عالمية الكتاب المجيد الذي أنزل بها.(١)

لم تكن سيادة اللغة العربية وانتصارها على البلاد واللغات الأخرى المفتوحة من طريق الإرغام ، إنما كانت الأمم تتسابق إلى تعلم العربية ، لمحاولة فهم القرآن ، ومعرفة أحكامه ، وللحاجة إلى التفاهم مع الولاة والحكام والتقرب إليهم رجاء منفعة دنيوية، فأصبحت العربية لغة الدين والدنيا وهذا كان له أثره الخاص في نشر اللغة وتوسيع نفوذها.(٢)

مظاهر العالمية:

لقد تحولت هذه اللغة بفضل القرآن الكريم إلى مجال العالمية، و تبوأت مكاناً عريقاً بين لغات العالم ،حيث اكتسبت سمة العالمية بسعة الانتشار لا بكثره عدد المتكلمين بها فقط ، وتبدو مظاهر هذه العالمية فيما يلي:-

١- انطلاق العربية إلي الآفاق التي انطلقت إليها آيات القرآن الكريم، فانتشرت مع الإسلام و كتابه المجيد إلى بلاد الشرق الأدنى، وحتى منافذ آسيا الوسطى في الشمال و في شمال إفريقية ووسطها وشرقها ، وقضت على معظم اللغات التي كانت سائدة في هذه البلاد ، كما ذاعت في مناطق متباعدة الأطراف، وأصبحت من أوسع اللغات انتشاراً في العالم،(٣) فبانتشار الإسلام والقرآن والاختلاط بهذه الأمم انتشرت اللغة العربية ، ووضع تحت أنظارها ما لم تمكنها

(١) ينظر: اللغة و الحضارة ، د. محمد بديع شريف: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ٦٨ ، ص٢٩ .
(٢) ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، الشيخ أحمد حسن الباقوري ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٣) ينظر: فقه اللغة ، د.علي عبد الواحد وافي : ص ١١٨، و اللغة بين القومية و العالمية ، د. إبراهيم أنيس: ص٢٨٠ .

منه حياتها البدوية ، فأكسبتها ثروة وغنى في كل نواحي الحياة فبعد أن كانت اللغة ملك العرب أصبحت ملك المسلمين جميعاً ، بعد أن كانت ثروتها في حدود بيئتها ، تعرف الجمل وما إليه وتجيد الصحراء، وما فيها مما يتصل بحياة العرب ، فقد عرفت المنطق، وآوت العلم ، وحملت الدين.(١)

٢- ضمان الحفظ والاستمرار و الخلود للغة العربية لارتباطها بالقرآن الكريم هو سمة من سمات العالمية فلم يصبها ما أصاب اللغات الأخرى من التفتيت إلى لغات مستقلة ، أو الاندثار و الضعف كما حدث لبعض اللغات ، فاللغة العربية كغيرها من اللغات خاضعة للتغير والتبدل وللزوال والفناء، والقرآن الكريم هو الذي حفظها من الضياع بحكم أنه المعجزة الباقية بها.(٢)

٣- قداسة و إعجاز اللغة العربية من قداسة و إعجاز القرآن الكريم فهو أتم وأبين الكتب السماوية، هذا الكتاب الذي وجه فيه الخطاب إلى الناس كافة، أي إلى العالم أجمع ، فهو موجه بلغته التي نزل بها وهي اللغة العربية إلي هذا العالم، وفي هذا تحقيق شرفي لعالمية اللغة العربية.(٣) كما أن ثبات اللغة العربية واحتفاظها بكيانها المقدس، فلم يطرأ عليها أي تغيير أو تحريف يمنعنا من فهمها بل العرب يفهمون القرآن الكريم والأدب الجاهلي رغم أنها لغة منذ أكثر من خمس عشر قرناً، هو أيضا تميز عالمي لم يتوفر للغة أخرى.

٤-نجاح العربية في أن تكون وعاء للقرآن الكريم و سنته الشريفة، تنقل ما بها من أحكام دون خلل أو ضعف ، تسع وتعبر عن دلالة كل ما جد في الحياة الإسلامية بمرونة ويسر وخلق و إبداع، وهو ما عرف بالألفاظ الإسلامية ،

(١) ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، الشيخ أحمد حسن الباقوري ، ص ١٣ – دار المعارف ط٤.
(٢)ينظر: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، الشيخ أحمد حسن الباقوري ، ص ٣٤
(٣)ينظر: اللغة بين القومية و العالمية ، ص٢٧٩ .

مثل: (المؤمن – الحج – الصلاة)[١]، أكسبها قوة و عالمية أمام الحضارات ، واللغات الأجنبية الأخرى، والتاريخ والحاضر يشهد بذلك حيث أصبحت لغة الدين والثقافة بل اللغة الرسمية لكل بلد دخلتها مع الإسلام.

كما هو الشأن في بعض جهات الهند ، وفي باكستان ، وأفغانستان ، والملايو، وأندونيسيا، و غيرها من دول الشرق التي انتشر فيها الاسلام.[٢]

٥- ومن مظاهر عالمية اللغة العربية اتساعها لكثير من الألفاظ التي اقترضتها من اللغات الأخرى ، وهي في أوج نهضتها ، حيث استخدمتها في المصطلحات العلمية و لغة الكلام ، ولم تسمح لها إلا نادراً باقتحام حصون الأدب العربي.[٣]

فكانت عالمية اللغة العربية من عالمية العلم الذي نقلته للإنسانية ،حيث تظهر مكانة العربية عالمياً في نقلها المعرفة الإنسانية على أيدي علماءها التي وافتهم بحاجاتهم من التعبير العلمي الدقيق ، فمكنتهم من أن يستخدموا فصاحة اللغة ومرونتها لإيجاد مصطلحات مبدعة ، ومؤلفات ابن سينا(٩٨٠-١٠٣٦م)، وابن الهيثم(٩٦٥-١٠٣٩م)، والبيروني(٩٧٣-١٠٤٨م)، والخوارزمي(توفي بعد عام ٢٣٢هـ). والرازي(٢٥٠ - ٣١١هـ) وغيرهم تشهد بذلك [٤] .

وقد استعان علماء الاسلام على تكوين مصطلحاتهم العلمية بالنقل والوضع ، فالنقل هو: نقل اللفظ من مدلوله الأصلي إلى مدلول آخر جديد ، أما الوضع : فيكون بابتكار لفظ جديد لأداء معنى خاص عن طريق النحت أو التركيب أو الاختزال ، أو الاشتقاق ، وكذلك استخدموا التعريب كلما دعت إليه

(١) ينظر: فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص ١١٩
(٢) ينظر: اللغة بين القومية و العالمية ، صـ٢٨٠ .
(٣) ينظر: السابق .
(٤) ينظر: اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث، أستاذ محمد شوقي أمين: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ج٣٤، ص: ٥٩، شوال ١٣٩٤هـ - نوفمبر ١٩٧٤م.

الحاجة . [١] وما زالت بعض المصطلحات العلمية والألفاظ العربية مستعملة في اللغات الأوربية إلى الآن مثل: (الجبر – الأكسير – الكحول – الياسمين ..)إلى آخره ، فقد تكفل اللسان العربي كأداة تعبير بصنع حضارة مميزة .

٦-**عالمية الحرف العربي:**" ارتباط الخط العربي بالدين الإسلامي جعل المتحدثين باللغة الحبشية هرر – وكلهم من المسلمين – يكتبون الحبشية بالخط العربي ويدخلون فيها عددا من الألفاظ العربية، وكأنهم قد أرادوا أن يثبتوا ارتباطهم بالعالم العربي الإسلامي وتميزهم عن الأحباش المسيحيين من حولهم." [٢]

إن صلاح الحروف العربية للكتابة؛ لأنها تؤدي من أنواع الكتابة ما لم يعهد من قبل في لغة من لغات الحضارة ، يشهد بعالمية العربية لأن الأمم التي تعتمد علي الحروف العربية في كتابتها أكثر عدداً من كل مجموعة عالمية ، ماعدا مجموعة الأمم التي تعتمد في كتابتها علي الحروف اللاتينية،لأن الحروف العربية تستخدم لكتابة : " اللغة العربية ، و اللغة الفارسية ، واللغة الأوردية ، واللغة الملاوية ، و بعض اللغات التي نتصل بها في الجزر المتفرقة بين القارات الثلاث: إفريقية و آسيا و أستراليا .[٣]، فيشهد للأبجدية العربية بأنها أصلح من سواها لكتابة جميع اللغات ، والحكم بصلاح الحروف للكتابة لا يعود إلى كثرة الأفراد الذين يكتبونها ، بل إلى أنواع اللغات التي تؤدي ألفاظها و أصواتها ، وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلاً في تركيبها ولا أشكالها المنفردة ، غير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف.[٤]

(١) ينظر: لغة العلم في الإسلام ، د. إبراهيم مدكور ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد ٢٩ ، ص١٦ –صفر ١٣٩٢هـ -مارس ١٩٧٢م .
(٢) اللغة العربية عبر القرون، د. محمود فهمي حجازي : ص١١ .
(٣) ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد :ص٢٧.
(٤) ينظر: السابق ، ص٢٨، وينظر:كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ، د. أنور الجندي : ص٥٥ . دار الاعتصام .

٧- **قومية اللغة العربية ومكانتها ورمزها للعروبة** بمعنى المشاركة الجماعية في كيان مميز يجمعه جنس ونسب وعقيدة وأرض وتاريخ ولغة ، يعتبر مظهر من مظاهر العالمية، وذلك:

لأن إيمان الأمة العربية بقومية لغتها باعتبار، وعالميتها باعتبار آخر، كان باعثاً لها على أن تحرص على (الوحدة اللغوية) فيما يتداول من الألفاظ والأساليب في معظم ما تتناوله الأقلام وتتناقله الأفهام في الأدب والعلم ، فسجلت الثقافة العربية (لغة مشتركة) موحدة لها خصائصها البارزة في عباراتها وفي مصطلحاتها تيسيراً للتبادل الثقافي على أوسع نطاق.[١]

فقوة العربية في الحفاظ على القومية العربية ،حيث استطاعت تحقيق التوازن بين ضرورات التطور والتغيير ومقومات البقاء والصمود. فأتيح لها أن تستوعب تراث الإنسانية ومعارفها ، وهضمت كل ما قدم إليها ، وقاومت ما يعوق انطلاقها.

وبهذا جمعت اللغة العربية بين كونها (لغة قومية) وكونها (لغة عالمية) في آن واحد عبر العصور[٢].

فهي بذلك أسبق لغة عالمية إذ تجلت حقيقتها وعالميتها بوضوح قبل أن يقرر المحدثون فكرة اللغة العالمية الرسمية أو يحددوا معاييرها ومقاييسها من قبل المنظمات الدولية المختصة بذلك.

وقد ذكر د. إبراهيم مدكور في الكلمة الافتتاحية في العيد الخمسيني لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن : العربية سبقت اللغات الأوربية الكبرى في عالميتها ، فقد كانت لغة العلم الأولى في العالم ، طوال عدة قرون ، من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الثالث عشر ، وعنها أخذت السريانية والعبرية والأردية شرقاً ،

(١) ينظر: اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث ، أستاذ محمد شوقي أمين : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ج٣٤ ، ص : ٦٢.
(٢) اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث ، أستاذ محمد شوقي امين ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد ٣٤ ، ص٦٠ ، شوال ١٣٩٤هـ - نوفمبر ١٩٧٤ م .

وأفادت منها اللاتينية غرباً ، بل هي التي نقلت الثقافة اليونانية والفارسية و الهندية، فأقاموا عليها النهضة الأوربية الحديثة. (١)

كما أكد أنه: " أصبح من المسلم به اليوم أن النهضة الأوربية الحديثة مدينة للعربية في وعيها ويقظتها ، في علومها وفنونها ... وها هي ذي العربية تأخذ مكانها في المحافل الدولية إلى جانب اللغات العالمية الكبرى". (٢)

وهذه الشهادة سجلها د. إبراهيم مدكور في ساحة مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ حوالي خمس وعشرين عاماً قبل الإعلان الرسمي لعالمية اللغة العربية من قبل منظمة اليونسكو عام ٢٠١٠م.

اليونسكو (٣) واللغة العربية:

لقد كان للحضور الفعال للغة العربية تاريخياً وحضارياً، وعمقها الممتد من القرون الغارقة في القدم إلى هذا العصر وما بعده ، وقدرتها على التفاعل والتأثير وعدم الانحسار، كان لهذا أثر في تعامل المنظمات الدولية معها بإيجابية ؛ وشهد عام ١٩٤٨ إعلان المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثالثة، التي انعقدت في بيروت (لبنان)، اللغة العربية لغة العمل الرسمية للمؤتمر العام في دورته تلك إلى جانب الإنجليزية والفرنسية ، وفي عام ١٩٦٠، أقر المؤتمر العام في دورته الحادية عشرة بأهمية اللغة العربية، معتبراً أن وقع الوثائق الصادرة عن اليونسكو سيزداد إلى أقصى حد في الدول العربية والبلدان الناطقة بالعربية إذا تم نشر هذه الوثائق باللغة العربية، واتخذت اليونسكو بالتالي قراراً يقضي باستخدام العربية في المؤتمرات الإقليمية التي تُنظَّم في البلدان الناطقة بالعربية وترجمة الوثائق

(١) ينظر: الكلمة الافتتاحية لاحتفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالعيد الخمسيني، د. إبراهيم مدكور ، ج٥٣، ص ٤ ، جمادي الأول ١٤٠٤ هـ - فبراير ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: السابق .

(٣) هي منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، أسست عام ١٩٤٦م لدعم التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلوم والثقافة ،ولتعزيز الاحترام العالمي للعدل والقانون والحريات ،ومقرها باريس.

والمنشورات الأساسية إلى العربية، وفي عام ١٩٦٨، واستجابة لطلب المدير العام المتعلق بجعل العربية لغة عمل في المنظمة قرر المؤتمر العام اعتماد العربية تدريجياً مع البدء بترجمة وثائق العمل والمحاضر الحرفية وتوفير خدمات الترجمة الفورية إلى العربية، واعتمدت اليونسكو برنامجاً لتعزيز استخدام اللغة العربية ، لذا صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ذي الرقم ٣١٩٠ (د-٢٨) المؤرخ في ١٨ ديسمبر عام ١٩٧٣ م ، بإدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسة ؛ لما للغة العربية من دور مهم في حفظ حضارة الإنسان وثقافته ونشرها .

وبهذا كانت اللغة العربية لغة رسمية معتمدة في اليونسكو قبل تاريخ إدخالها ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجانها الرئيسة ، ومن أجل النهوض بالتنوع اللغوي والثقافي ، وفي ١٩ فبراير ٢٠١٠ م ،اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام قراراً يقضي بالعمل على الاحتفال بيوم عالمي لكل لغة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة ،وعليه تقرر الاحتفال باللغة العربية في ١٨ ديسمبر لكونه اليوم الذي صدر فيه قرار الجمعية العامة لأن يكون يوماً دولياً للغة العربية، وفي الدورة التسعين بعد المائة للمجلس التنفيذي لليونسكو دعا المجلس الى إدراج اليوم العالمي رسميا للغة العربية الموافق ١٨ديسمبر من كل عام ضمن الأيام الدولية التي تحتفل بها اليونسكو. [١]

وهكذا اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة ولجانها والمنظمات الدولية التابعة لها: منظمة اليونسكو-هيئة الصحة العالمية- ومنظمة الطفولة، وغيرها من المنظمات التابعة للأمم المتحدة.

(١) ينظر: كتيب صادر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، في الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية عام ٢٠١٢ م: ص ٣ ، ٤.

كما اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الوحدة الأفريقية[1]، وذلك منذ عام ١٩٧٣ م، فهي واحدة من اللغات الرسمية التي سارت بها أعمال ومؤتمرات منظمة الوحدة الإفريقية.

شهادة رسمية بعالمية اللغة العربية:

رأت المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (أودري أزولاي): "أن اللغة العربية واحدة من أكثر لغات العالم انتشاراً وهي لسان ما يربو على ٤٢٢ مليون نسمة ، كما أنها لغة دين الإسلام الذي يعتنقه ما يربوا على المليار ونصف المليار إنسان ،... والعربية ركيزة من ركائز الحضارة الإنسانية وهي لغة الابتكار والاستكشاف في مجالات العلوم والطب والفلك والرياضيات والفلسفة والتاريخ على مر العصور . وكانت ما تزال جسرا للمعرفة عبر الزمان والمكان ، وأسهمت عبر القرون ، مع بقية الثقافات ، في تراكم إرث الإنسانية.

واليوم ، ومع الدور المتزايد الذي أضحت تلعبه التكنولوجيا في حياتنا اليومية، وبعدما توحدت دول العالم أجمع تحت مظلة معايير قياسية ، أصبح التنوع اللغوي أمام تحديات وتهديدات . ولم تعد اللغة العربية التي عرفت أوروبا في العصور الوسطى على علم البصريات، متواجدة بما يليق بمكانتها في الدوريات والمطبوعات الأكاديمية ، وصار على المتحدثين بالعربية تعلم لغات أخرى ، حتى يتسنى لهم تطوير مسارات حياتهم في العمل والدراسة والعلاقات الاجتماعية.

وسعياً لتغيير هذا الواقع على نحو إيجابي ، قررت منظمة اليونسكو في العام ٢٠١٢ تحديد يوم ١٨ ديسمبر من كل عام ليكون احتفاء باليوم العالمي للغة العربية .

(١)هي منظمة حكومية دولية تأسست في 25 مايو 1963 في أديس أبابا، إثيوبيا، مع ٣٢ حكومة موقعة، . تم حلها في 9 يوليو 2002 من قبل آخر رئيس لها، رئيس جنوب أفريقيا تابو إيمبيكي، وحل محله الاتحاد الأفريقي.

ومنذ ذلك العام انصب تركيز منظمتنا على إيجاد سبل تعزيز استخدام اللغة العربية في عملها ، ومن بين تلك الجهود تشجيع الشباب ليكونوا أصحاب الدور الرئيسي في صياغة مستقبل لغتهم..

كما أطلقت اليونسكو عدد آخر من المبادرات ، من أبرزها برنامج مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود لدعم اللغة العربية في اليونسكو ، وهو البرنامج الذي أبرمت اتفاقيته في العام ٢٠١٧ م ، لتنفيذه على مدار خمسة أعوام في شراكة استراتيجية مع المؤسسة الخيرية .. كما تعكف اليونسكو على وضع أطلس اللغة العربية، بغرض تعزيز التنوع الثقافي اللغوي بين المتخصصين في اللغة العربية والناطقين بها...

إنني أرى اللغة العربية اليوم مثل بوابة عبور إلى تراث ثقافي غاية في الثراء والتنوع ، وأجد فيها مقدرات هائلة ، نحو توطيد أواصر التعاون بين الشعوب ، وتحقيق السلم فيما بينها ، لذلك ارتأت منظمة الأمم المتحدة في العام ١٩٧٣ م ، أن تكون اللغة العربية واحدة من لغاتها الرسمية المعتمدة ".[١]

ثالثاً: رؤية موضوعية لواقع اللغة العربية:

من أهم عوامل قوة اللغة العربية وحيويتها وعي الأمة وحرصها على رعاية لغتها وحمايتها وانتشارها واليقين الجازم بأنها صالحة لمقتضيات العصر ومعطيات الحضارة ومستجدات التطور، وتلك أهداف كبرى تخطط لها الدول التي تسعى الى السيادة ، فتقيم المؤسسات وتجني المراكز البحثية المتخصصة ، وتؤسس الهيئات الفنية لتعليم اللغة وتطوير أساليب تدريسها ، وترجمة المصطلحات.[٢]

(١) هذا ما كتبته وتم نشره في تقرير (حالة اللغة العربية ومستقبلها) ص ٦
:، https://www.mcy.gov.ae/ar/arabic-language-report/
(٢)ينظر: اللغة والهوية ..أنا ..والآخر.. والسيادة الوطنية ، د. محمد محمد داوود : ص ٥٨ ، دار المنار.

وكل تقدم يحرزه أبناء العربية اليوم هو تدعيم لمركز اللغة العربية بين اللغات العالمية ، والواقع أن قيمة اللغة في تراثها وما تحمله من حضارة وعلم يفيد الحاضر ويبني المستقبل . فأبناء اللغة هم الذين يرفعون قيمتها أو العكس بعملهم الحضاري وبإنتاجهم العلمي.[١]

لقد تم إصدار تقرير (حالة اللغة العربية ومستقبلها):[٢] وهو خطوة إيجابية في ظلّ غياب الدراسات الميدانيّة والاستشرافيّة حول واقع اللغة العربيّة اليوم، وكان الهدف منه : تقديم معطيات واسعة بإمكانها أن تسهم في بناء تصوّر مكتمل عن حال اللغة العربيّة وتسمح بالبحث في ضوء ذلك عن سبُل لإنعاشها وتسخيرها لخدمة مجتمعاتها.

وهذا انطلاقا من أننا نعيش في عصر تحكمه المعلومات والبيانات والتقنية السريعة للتطورات الاتصالية، والعربية في حاجه لهذا التطبيق لفهم التحديات التي تواجهها في القرن الحادي والعشرين، والفرص الجديدة التي تتحقق لها بين أبناءها وفي عوالم جديدة .

لهذا أصدر هذا التقرير ليكون نقطة أساس لكل العاملين في اللغة العربية ، من حكومات ومؤسسات تعليمية ، وقطاعات تقنية وتجارية ، وتم الإعلان عنه في يوم اللغة العربية في ١٨ ديسمبر ٢٠١٨ م .[٣]

---

(١) ينظر: اللغة العربية في مواجهة التحديات، د. إحسان النص: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: عدد١١٦، ص ٩٠ – جمادى الأولى ١٤٣٠ه-مايو٢٠٠٩م.

(٢)في كلمة الافتتاحية: بقلم نورة بنت محمد الكعبي ، وزيرة الثقافة والشباب في دولة الامارات العربية المتحدة.

(٣) وقد اشترك في إعداد محتوى هذا التقرير جهات عدة من وزارات وهيئات حكومية على مستوى الوطن العربي، وأيضا مجامع ومؤسسات دولية وإعلامية وشركات تقنية وهيئات بحثية وتدريسية في جامعات مختلفة. وقد تم سرد أسماء تلك الهيئات مع تقديم الشكر لها في بداية هذا التقرير . الذي صدر عن وزارة الثقافة والشاب في الإمارات العربية المتحدة والمجلس الاستشاري للغة العربية . وقد أتى هذا التقرير في ٤٤٣ صفحة ، وكان فريق العمل يتكون من ٢٣ باحثا من دولة الإمارات ومختلف الدول العربية، وأسهم فيه ٥٠ خبيرا في مجال اللغة العربية ينتمون إلى بلاد عربية وأجنبية .

فنحن بحاجة إلى وعي مجتمعي عام بأهمية المحافظة على سلامة هويتنا اللغوية ،

وإذا نظرنا إلى واقع الحال وجدنا آثار هذه الأزمة تنعكس على كلّ مجالات الحياة في المجتمعات العربيّة: " ففي معظم الدول العربيّة لا يزال البحث العلميّ في العلوم وتعليمها ضئيل التفاعل بالعربيّة إن لم يكن منعدمًا .ورغم تراكم القرارات الحكوميّة العربيّة وتقارير اجتماعات القمّة فإنّه لم تنجح من مبادرات التأسيس العلميّ بالعربيّة إلا تجارب معدودة وبشكل نسبيّ على مستوى التشريع والتأطير المؤسّساتيّ أو على مستوى التجارب الفرديّة.

ولا تزال اللغة العربيّة أقلّ حيويّةً في الفضاء العامّ وفي وسائل الإعلام، حيث يغلب على المظهر الخارجيّ اللغويّ الصوتيّ والبصريّ زحف اللغات الأجنبيّة وهيمنتها على اللغة العربيّة فصيحها ومحكيّها. وما تزال مناهج تدريسها مقولبةً ومعلَّبةً في أُطُر تقعيديّة لا تمنح لطلّابها الكفاءة والليونة في استعمالها ولا القدرة على جعلها مواكِبةً للحاجات المعاصرة والمستجدّات التكنولوجيّة والمعرفيّة .ولذلك ما زالت مجتمعاتنا في حاجة إلى أن تستعير لسانًا غير العربيّة كي تقدّم لأفرادها الخدمات." [1]

إذن واقع لغتنا العربية في ظل الحضارة المعاصرة يعاني من مشكلات أبرزها:

– تدريس العلوم الطبيعية والطبية بلغة أجنبية.

– قلة الانتاج الموسوعي من الأعمال اللغوية ، مع عدم مواكبة الصناعة المعجمية لمتطلبات العصر.

– كنوز المخطوطات العربية المشتتة بين مكتبات العالم التي لم تحظ بتحقيقها ونشرها ودراستها وتقويمها.

(١) ينظر: تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها: ص ٢٢

- حال العربية في دور التعليم وغياب التكامل العلمي في تعليم العربية.
- نزعة المجتمع الى التغريب
- معوقات الترجمة وعدم الاهتمام بها.
- عدم تيسير سبل تعليم العربية لغير العرب بطريقة علمية
- افتقاد رؤية لمستقبل العربية ، فلا يوجد لدينا تخطيط لغوي للمستقبل.(١)

كما أن قصر أهمية العربية على الناحية الدينية فقط أمر به خلل لأنه يحرم العربية من تواجدها في مجالات الحياة العملية ، اقتصادياً وسياسياً ، وثقافياً، واجتماعياً.

فتلك اللغة الخالدة تحتاج نشر ودعم واهتمام بها لكي يطلع الناس على سر عظمتها وأسباب خلودها وما بها من رصيد ثقافي بديع.(٢)

ولقد كانت فكرة عجز العربية عن تدريس أي علم حديث و مواكبة التقدم العلمي هي فكرة قديمة ، قد روج لها عدد من المثقفين قبل الثورة العرابية (١٨٨٢ م) لكن لم يقف علماءنا مكتوفي الأيدي أمام هذا التيار ، فقامت دعوة حمل لواءها عبد الله نديم في مجلة (الأستاذ) عام ١٨٩٢م للمضي في تعريب المصطلحات العلمية لاستخدامها في تعليم العلوم الحديثة ، ثم تتابعت الجهود بعد ذلك الى أن أنشئت الجامعة المصرية الأولى عام ١٩٠٨ م ، فكانت فاتحة لنهضة علمية وثقافية حديثة في مصر والدول العربية.(٣)

---

(١) ينظر: اللغة والهوية ..أنا.. والآخر.. والسيادة الوطنية، د.محمد محمد داوود : ص ١٠ – دار المنار .

(٢)ينظر: السابق: ص ٢٢ .

(٣)ينظر: مجمع اللغة العربية ولغة العلم ،د.محمود حافظ : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : جـ٥٣ ، ص٣١ .

ثم توالت الهيئات المختصة من مجامع لغوية ومجالس معنية بذلك في الوطن العربي بالعمل على إصدار معاجم لمصطلحات العلوم في مختلف المجالات .

حيث تُشكّل مجامع اللغة العربيّة أحد أهمّ الكيانات المؤسّسيّة القائمة على خدمة اللغة العربيّة في العصر الحديث؛ فمنذ ما يزيد على قرن من الزمان، عند تأسيس أوّل مجمع في دمشق عام ١٩١٩ ، ومجامع اللغة العربيّة تعدّ واجهة المؤسّسات المرجعيّة للّغة في وطننا العربيّ، وهي[١]:

م	اسم المجمع	تاريخ التأسيس
١.	مجمع اللغة العربيّة بدمشق	١٩١٩
٢.	مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة	١٩٣٢
٣.	المجمع العلميّ بالعراق	١٩٤٧
٤.	مجمع اللغة العربيّة بالأردن	١٩٧٦
٥.	مجمع اللغة العربيّة بالجزائر	١٩٨٦
٦.	المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون – بيت الحكمة	١٩٨٩
٧.	مجمع اللغة العربيّة بالسودان	١٩٩٣
٨.	مجمع اللغة العربيّة بفلسطين (رام الله)	١٩٩٤
٩.	مجمع اللغة العربيّة بليبيا	١٩٩٤
١٠.	مجمع اللغة العربيّة بحيفا (فلسطين المحتلّة)	٢٠٠٧
١١.	مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة	٢٠٠٨
١٢.	مجمع اللغة العربيّة بغزّة (فلسطين	٢٠١٣
١٣.	المجمع العلميّ اللغويّ اليمنيّ	٢٠١٣

(١) ينظر: تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها: ص ٣٦.

١٤.	مجمع اللغة العربيّة بالشارقة	٢٠١٦
١٥.	مجلس اللسان العربيّ بموريتانيا	٢٠١٧

ولكن ما زالت الأبواق تذيع وتقلل من شأن العربية بعدم قدرتها على الاستجابة لمتطلبات الحضارة والعلوم العصرية . فمنذ بداية العصر الحديث تتوالى الدعاوي والاتهامات للفصحى ،وأهمها:

- صعوبة العربية وأنظمتها النحوية .

- الدعوة الى التخلي عن العربية الفصيحة واتخاذ العامية بدلا منها لغة للحديث والكتابة .

- زعم انقراض العربية لقدمها وتخلفها عن الحضارة .

- صعوبة الكتابة العربية والدعوة الى التخلي عنها الى الكتابة اللاتينية أو غيرها.[١]

وقد وجدت تلك الدعوات رواجاً في استخدام بعضها على شبكات التواصل الاجتماعي في الأعوام الأخيرة :فنشأت صور لغوية خاصة تداولها الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي بينهم ،وهي مظهر من مظاهر الانحراف اللغوي المستخدم على الإنترنت :

١- كتابة العربية بحروف ورموز لاتينية مثل : استبدال الرقم ٢ بالهمزة المتطرفة (ء) لتشابه رسميهما ، فكلمة "حوار" على سبيل المثال تكتب هكذا : 7ewar. وهو ما يطلق عليه العربيزية.

٢- الاستخدام المتكرر لبعض علامات الترقيم : كأن يكرر علامة التأثر (!!!!!!!!!!!!!!!) دلالة على المبالغة في التعجب من أمر ما .

(١)العربية الفصيحة من أهم أسس تمايز هويتنا العروبية ، د. صادق عبد الله أبو سليمان : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : عدد ١١٦ ، ص٦٤ وما بعدها .

٣- الاعتماد على تكرار الحروف للتنغيم أو للنبر في أداء المعاني : مثل (مشكووووووور) دلالة على الشكر الجزيل.

٤- عدم توحيد المصطلح المعرب في الوطن العربي واستخدام الكلمات الأجنبية بدلا من العربية مثل بعض الكلمات المعربة عن الإنجليزية (Bibliography): تكتب (ببليوغرافيا)- أو(ببليوجرافيا) ،وكلمة Google تكتب (جوجل) – (غوغل) .

المبحث الثاني

عالمية اللغة العربية عند المستشرقين

المبحث الثاني

عالمية اللغة العربية عند المستشرقين

أولاً: الاستشراق واللغة العربية

لقد مر الاستشراق بأطوار عديدة، وفي العصر الحديث وفي ظل التطلع للنهضة الغربية المتطورة وجامعاتها التي اشتهرت برواج البحث العلمي وتقدمه تم إرسال بعثات إسلامية إلى جامعات أوروبا مع الاستعانة بالمستشرقين في التدريس بالجامعات العربية وترجمة إنتاجهم للإفادة منه ، وتعيينهم في المجامع اللغوية والعالمية بمصر.[١]

وقد رأى العقاد أن أوروبا كانت تتلقى آثار الثقافة العربية من ثلاث جهات متلاحقة في القرون الوسطى:

أولها: جهة القوافل التجارية التي كانت تغدو وتروح بين آسيا وأوروبا الشرقية والشمالية من طريق بحر الخزر أو طريق القسطنطينية .

والجهة الثانية: هي جهة المواطن التي احتلها الصليبيون وعاشوا فيها زمناً طويلاً بين سورية ومصر وسائر الأقطار الإسلامية.

والجهة الثالثة: هي جهة الأندلس وصقلية وغيرهما من البلاد التي قامت فيها دول المسلمين، وانتشر فيها المتكلمون باللغة العربية. [٢]

وقد اتخذت الأفكار الاستشراقية عددا من الأشكال المختلفة أثناء القرني التاسع عشر والعشرين، إذ كانت أوروبا حافلة ، أولا بكتابات بالغة الكثرة عن

(١) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية : ٢٢/١ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، تونس عام ١٩٨٥ م .
(٢)ينظر: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد : ص ٥٣ ، ٥٤ – هنداوي – ٢٠١٣ م

الشرق ، ورثتها من الماضي الأوروبي، كما تلون الاستشراق بألوان الإمبريالية ، والفلسفة الوضعية ، والتاريخية ، والدارونية ، والعنصرية والماركسية ... إلى آخره.

وتعتبر فترة أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، هي بداية الفترة التي بدأ فيها الاستشراق الحديث ، فكانوا أنصار رؤية جديدة للعلاقة ما بين الشرق والغرب ، فعلى سبيل المثال كانت البحوث اللغوية التي أجراها رينان عن اللغات السامية في عام ١٨٤٨ م مكتوبة بأسلوب يستعين استعانة كبيرة ، بنظريات النحو المقارن المعاصرة ، ونظريات علم التشريح والنظريات العنصرية. (١)

وعلى الرغم من أن الاستشراق في بعض مراحله عاش في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه ولعب دوراً فكرياً خطيراً في التمهيد للاستعمار السياسي والثقافي والعسكري وحاول التشكيك في الدين والثقافة والحضارة لدى الشعوب المستعمرة إلا أن حركته الفكرية لا تخلو من جوانب إيجابية، كتنظيم الكتب العربية التي توجد في المكتبات العمومية بأوروبا ، وضع الفهارس لها ، والتنقيب عن المخطوطات الهامة في تراثنا لتحقيقها ونشرها ، مع الاهتمام بدراسة بعض علماء الإسلام وآثارهم العلمية. (٢)

ومهما يكن من أمر فإنهم ببحوثهم قد أسهموا في تنمية الثقافة الإنسانية، ونشاط البحث العلمي ، بل إن المستشرقين النزهاء من تركوا أثراً عميقا في الرأي العام الأوروبي ، كالمستشرق الفرنسي كلود اتيان سافاري ، فقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في مقدمة ترجمته للقرآن بالعظمة وقال " أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافئ على الفضيلة ويعاقب على الرذيلة ، فالغربي المتنور إن لم

(١) ينظر: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، إدوارد سعيد: ص١٠ ،١١ .
(٢) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية : ٢٥/١ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج ، تونس عام ١٩٨٥م.

يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ".[١]

وقد عمل بعض المستشرقين على إرساء قواعد الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأوروبية، وبالفعل أصبحت تلك الدراسات العربية والإسلامية دراسة مميزة في الجامعات الأوروبية، وتخصص شرفي له وجود بحثي مما جعل المستشرقون يقبلون بأنفسهم على تدريسها والتخصص فيها.

ويبدوا أن معرفة المستشرقين للغة العربية وعلمهم بها كانت متفاوتة فقد اهتموا بالعربية ودراستها من أجل اكتسابها وتعلمها وجمع نصوصها ومتونها المختلفة سواء كان ذلك حباً أو ضغينة أو غرضاً آخر .

وأرى أن هذا الإقبال هو الشاهد على عالمية اللغة العربية وانتشارها في مختلف أنحاء العالم .كما أنه لا أحد ينكر فضل المستشرقين على تحقيق التراث العربي ونشره .

وقال العقاد :" لقد كان للمستشرقين سهمهم الوافر من هذه الأخطاء في تحميل اللغة العربية أوزارهم وأوزار نظراتهم العجلى إلى أساليبها وتعبيراتها ، فإنهم في جملتهم –ما عدا القليل النادر منهم – لغويون أو حفاظ قامسيون وليسوا من محبي الأدب والفن بلغاتهم فضلاً عن اللغة العربية التي تعلموها ولم يعيشوا بها أو يعيشوا فيها." [٢]

(١)ينظر: السابق ٢٤/١، نقلا عن المرجع الأجنبي : Thomas Carlyle :On Heroes, Hero-worship, and the Heroic in History – London 1899

(٢) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب: عباس محمود العقاد: ص ٦ ، نهضة مصر ، يناير ١٩٩٥ م.

ثانياً: جهود بعض المستشرقين في خدمة اللغة العربية

أسهم بعض المستشرقين في خدمة اللغة العربية فكانت لهم جهود بارزة تتسم بالرؤية الجديدة المختلفة، كما عملوا على تقريب اللغة العربية إلى الآخرين في مختلف جهات العالم، وذلك كان من منظور دراستهم الشرقية فتناولوا العربية من عدة محاور كان منها على سبيل المثال:

١- تحقيق التراث العربي الإسلامي: حيث قام المستشرقون بدور بارز في نشر التراث العربي، وكانت لهم اهتمامات كبيرة بجمع المخطوطات ودراستها، ثم نشرها، وامتلأت مكتبات أوروبا بما جمعوه، من تراث العرب ومخطوطاتهم التي بلغت مئات الألوف.

ومما نشره المستشرقون خلال القرن التاسع عشر:

(١) شرح ديوان المفضليات، لأبي بكر الأنباري "٣٢٨هـ" نشرته المطبعة الكاثوليكية بإكسفورد ١٢٢٣هـ-١٨٠٨م بتحقيق جاريس لايل.

(٢)المنتخب من تاريخ حلب، وهو منتخب من "زبدة الحلب في تاريخ حلب" لابن العديم، نشره فريتاغ سنة ١٢٣٤هـ-١٨١٩م.

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي "٥٠٢هـ" نشر في برن سنة ١٨٢٨م بتحقيق فريتاغ. [١]

٢- تتبع سير تطوير ألفاظ اللغة العربية مشرقاً ومغرباً من خلال الرحلات التي قام بها المستشرقون عبر البلاد العربية ، فقدموا من خلال زيارة تلك المناطق شبه تقارير عن واقع اللغة العربية ، بل سجلوا لنا طائفة من الكلمات والمفردات والمصطلحات التي عرفتها البلاد .

(١) ينظر:مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل: ص١٤٣- المكتبة الأزهرية للتراث-ط٢ .

وكان رأس هؤلاء المستشرق السويسري الرحالة جوهن لويس بوركهارت (John Leuis Burck hardt) الذي وافته المنية في مصر عام (١٣٣٢ هـ) وقد سار على نفس نهج رحلة ابن بطوطة سواء من الناحية الجغرافية أم المحتوى والأسلوب، وكان عمله هذا جليلاً لما قدمه من معلومات واكتشافات عظيمة، (١) كما قدم كشفا لمعجم لغوي فريد يشتمل على مفردات عربية تقابلها مفردات باللغة النوبية والكونسية .

٣- كما كان لهم إنجازات وأعمال كثيرة متنوعة في اللغة العربية ، صارت هذه الأعمال مصادر قيمة للغة العربية ودراستها ، فبحثوا في كل ما يتصل بالعربية ، تاريخها وأطوارها ونقوشها ، وأصواتها ولهجاتها ونحوها وصرفها ، وعلاقتها باللغات الأخرى ، ومميزاتها ، ومعاجمها .

وكان من أبرز من قام بهذه الدراسات المستشرق الألماني (يوهان فك) حيث قدم كتاباً بعنوان:(العربية .. دراسات في اللغة واللهجات والاساليب) اهتم فيه بدراسة العلاقة بين الإسلام واللغة العربية ودرس خصائصها وارتباطها بالقرآن الكريم، وتطورها بعد وفاة الرسول ﷺ ، وحياتها في العهد الأموي، وأطوارها في العهد العباسي ، وانتشارها وسلطانها وازدهارها في تلك العصور، وتناول العربية الفصحى ولهجاتها المولدة الدارجة والعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي ، فدرسها دراسة تاريخية وتناول العربية عبر العصور التاريخية وصولاً إلى العصر الحديث ، مع تناول مشكلة اللحن وأثره إلى غيره من الدراسات اللغوية . (٢)

ولقد احتضن مجمع اللغة العربية منذ نشأته (عام ١٩٣٣ م) كوكبة من أعلام رجال الاستشراق أمثال : أوغست فيشر(August Fisher) ألمانيا ،

(١) ينظر: الاستشراق والتأليف المعجمي ، بوركهارت دفين ، مصر ، عام ١٨١٧ م نموذجا ، د. عبد الهادي التازي: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ١١٦ ، ص ٣٠: ٣٢ .
(٢) العربية : يوهان فك ، ترجمة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م ، ص:٢٥.

وكارلونا لينو (Carlona Lino) إيطاليا، ولوي ماسينيون Luis) (Massignonفرنسا ، و أ.ج فينسينك (A.J. vensinich) هولندا.

وقد كانت هذه المبادرة بمثابة إشادة بما قام به المستشرقون من خدمة جلية للغة العربية، وما أسهموا به من جهد في سبيل إحياء تراثنا الفكري ، وكأن المجمع أراد من هذا العمل أن ينشر اللغة العربية وتوسيع دائرة البحث فيها وحولها. (١)

ثالثا: نظرة المستشرقين إلى عالمية اللغة العربية:

لقد أدرك بعض المستشرقين من خلال دراستهم الشرقية مزايا العربية وفضلها على غيرها من اللغات وكفاءة قوالبها وألفاظها وموسيقاها وسعة مدرجها الصوتي ، وثباتها وخلودها على مدى العصور والتاريخ ، كما شهدوا بكفاءة اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بمتطلبات العلم والحضارة ، والأمانة العلمية تقتضي منا أن ننصف طائفة من هؤلاء، فهم ليسوا سواء ،ففيهم الأمين الذي يبغي بعمله خدمة العلم والإنسانية وفيهم المغرض الذي ليس لديه أمانة أو نزاهة علمية.

ورأيت أن أقدم استشهادات نصية بعالمية اللغة العربية لبعض المستشرقين :

– وهذا "ما ذكره حديث المستشرق الفرنسي (ماسينون)– لصحفية الأهرام في ٢٦ / ١ / ١٩٤٩ م حين يوازن بين المجموعات اللغوية ويفاضل ، ثم يخلص إلى سر عظمة العربية ، ويقول: (أن تركيب الآرية بنائي في قياس منطقي ، ومن ثم مالت إلى التمييزات النظرية . وإن تركيب اللغة الطورانية أشبه بوشي جمعته الصدفة، ومن ثم مالت إلى الإيقاعات الموسيقية ، وإن تركيب السامية أشبه بالتركيب الجواري ، مع تتابع في سلك خطي ، كحبات العقد ، موزعة بين جمل أصلية ، وجمل تبعية ، ومن ثم مالت إلى الحكم الأخلاقية) ثم خلص إلى أن العربية تفضل زميلتيها الكبيرتين : العبرية والسريانية، لأنها السابقة بالوصلة ،

(١) ينظر: (جاك بيرك من خلال أعماله) د .عبد الهادي التازي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: جـ٨٤، ص ٤١ –محرم ١٤٢٠هـ -مايو ١٩٩٩م .

والآخرة بالنبوة ،والوصلة هي المحافظة على خصائص السامية الأصلية ،والنبوة هي الثقافة بالمعنى العام ، لثورة المعاني الكامنة لكل أصل ثلاثي من أصولها ، ومن قدرتها في القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة في أسسها ، وأخيرا من صقلها للمعاني والصعود بها في مدارج التقدم." (١)

كما امتدح العرب وعلومهم والثقافة العربية وفنونها ، والمؤلفات العربية وفضلها على الحضارة قديماً وحديثاً ، ورد على الاتهامات التي وجهت إلى الأدب العربي ، والثقافة العربية ، وأكد على خلود اللغة وتواصلها بين أجيال الأمة العربية ، وأحال ذلك إلى ميل العرب إلى المحافظة على لغتهم واعتزازهم بها ، وإلى كتاب العربية الخالد (القرآن الكريم) الذي اجتمعت عليه العرب وحافظوا عليه ، وسلم من التغيير والتبديل ، وفي ذلك بقاء للعربية وحفظ لها . (٢)

– كما ذكر "د. عبد الحافظ حلمي أن هناك شهادتين هما:

الشهادة الأولى: قول الدكتور G.A Russell عام (١٩٨١ م) الأستاذ بمعهد ولكوم لتاريخ الطب في لندن ، في معجم حديث لتاريخ العلوم باللغة الإنجليزية ، فبعد أن استعرض الأستاذ المعالم الجوهرية للعلم الإسلامي قال ما ترجمته: (وكانت العربية هي أداة هذا النشاط العلمي كله فلما كانت اللغة العربية لغة القرآن، أصبح لها أهمية خاصة في الإسلام ، بيد أن طبيعة اللغة العربية نفسها هي التي قامت بالدور الحاسم ، فمرونتها الرائعة قد مكنت المترجمين من دمغ مفردات محكمة ودقيقة للمصطلحات العلمية والتكنولوجية أو ابتكارها ، وهكذا اتخذت لغة الشعر اللغة العالمية للعلم والحضارة).

والشهادة الثانية: ما ورد في دورية (Meta Science) وفيه يعرض ستيفن جاكروجر

(١) عوامل تنمية اللغة العربية ، د . توفيق محمد شاهين : ص٥، ٦ .
(٢)ينظر: السابق .

(Stephen Gaukroger) الأستاذ بكلية الفلسفة بجامعة سيدني، موسوعة عن العلم العربي صدرت في لندن عام ١٩٩٦ م ويصدر الأستاذ عرضه بما ترجمته : (إذ كانت اللغة العربية لغة العلم من القرن التاسع حتى نهاية القرن الحادي عشر بمعنى إنها كانت اللغة العالمية لعلماء المسلمين من سمرقند إلى غرناطة ، أيا كانت لغاتهم الأصلية ، وبمعنى أن الحضارة العربية كانت مستودع العلم الكلاسيكي والمبتكرات العلمية المعاصرة في ذلك الزمان) .

وفسر د. عبد الحافظ حلمي هذا الزمن بأن كثير من مؤرخي العلم يجعلوه من القرن الثامن، ويمدونه حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، الذي ظهر فيه ابن خلدون." [١]

(١٣٣٢هـ-١٤٠٦م) .

- ويرى (يوهان فك) في كتابه العربية : "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة ،وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية، وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي ،رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية.

ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر." [٢]

- ويذكر د. محمد توفيق شاهين: أن المستشرق الدكتور " غر يغوري شربا نوف " مدير معهد الدراسات الشرقية بأكاديمية (العلوم السوفيتية) : أشاد بمدى انتشار اللغة العربية في جمهوريات الاتحاد السوفييت وإقبال الكثيرين من طلبة الدراسات العليا على دراسة الأدب العربي قديمه وحديثه، وذكر في إحصائية -منذ

(١) ينظر: الإسلام واللغة العربية والعلم، د.عبد الحافظ حلمي :مجملة مجمع اللغة العربية بالقاهرة:ج٨٤،ص١٥٥.

(٢)العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) ،يوهان فك :ص٢٤٢ترجمة وتقديم وتعليق د.رمضان عبد التواب -مكتبة الخانجي -١٤٠٠ه-١٩٨٠م .

عشر سنوات– بأن حوالي مائتي رسالة للدكتوراه قد أعطيت في الاتحاد السوفييتي منذ الستينات في الأدب.(١)

– ولقد شهد المستشرقون المنصفون بعبقرية اللغة العربية وعظمتها "فقال المستشرق (جرونياوم)في مقدمته لكتاب تراث الإسلام (إن اللغة العربية هي محور التراث العربي الزاهر ،وهي لغة عبقرية لا تدانيها لغة في مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية في المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة ، جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب وأتاحت لها القدرة على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة) .

وكذلك يقول المستشرق الألماني(بروكلمان) الذي أرخ للفكر والتأليف العربيين في العصر الجاهلي حتى الآن في سلسلة كتابه الشهير (تاريخ الأدب العربي): يقول إنه بفضل القرآن الكريم بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى)".(٢)

– ويؤكد المستشرق الروماني (د. نيقولا لا دوبريشان)على عالمية الثقافة العربية ولغتها فيذكر :

أن الثقافة العربية باعتبارها إحدى طبقات الحضارة الإسلامية حملت رسالتها وأثرت تأثيرا بالغاً على الحضارة العالمية ، سواء بقيمها الذاتية أو بالعديد من قيم ثقافات أخرى احتكت بها ثم احتوتها واستوعبت الثمين منها ، فكانت حاملة وناقلة لها ، فأسهمت إسهاماً عظيماً كريماً في الحضارة العالمية ، وذلك كان من خلال انتشارها الواسع على مساحات ومناطق مختلفة من الكرة الأرضية ، ولا يستطيع

(١) وهذه الإحصائية كانت في أواخر القرن العشرين، ينظر: عوامل تنمية اللغة العربية : د. توفيق محمد شاهين: ص٩ .
(٢) اللغة العربية و وسائل النهوض بها في مصر، أ.د محمود حافظ : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٨٧ ، ص١١٥،١١٦ -محرم ١٤٢١ هـ _ مايو ٢٠٠٠ م .

أحد أن ينكر فضل الثقافة العربية وما تركته من بصمات في جميع مجالات الحضارة العالمية .

وقد بعثت أوروبا ونهضت وهي تستمع إلى أصوات الفلاسفة والعلماء العرب في مساجد المدن الأندلسية ، وكما ترجمت أعمال العلماء العرب إلى اللغة اللاتينية واستمرت دراستها في الجامعات الأوروبية على امتداد قرون عديدة بل يمكن القول إن تأثير العرب في بعض ميادين العلوم امتدت إلى الآن ، وأسطع دليل على ذلك استخدام عشرات بل مئات المصطلحات العلمية العربية في العديد من اللغات الأوروبية حتى اليوم ، كما ألفت مئات الكتب والبحوث عن تأثير الشعر العربي القديم وحكايات ألف ليلة وليلة والمقامات على آداب العالم منذ القدم إلى الآن. (١)

كما أشار إلى قيمة الكتاب العربي في الثقافة العربية حيث حظى باهتمام الأثرياء والعلماء والخلفاء والأمراء ، فمثل في مستواه الدقة والعناية والأناة والوعي والجهود المبذولة لنسخ الكتب وترجمتها وفهرستها وحفظها من خلال إنشاء المكتبات الخاصة والعامة ، فكان هو الوسيلة لإنقاذ جزء كبير من التراث القديم وإعادته إلى التراث العالمي . (٢)

–وأكد الباحث الفرنسي (غوستاف لوبون)(ت١٩٣١ م) " أن الكتب العربية المترجمة وبخاصة الأعمال العلمية منها كانت المرجع الوحيد للتعليم في جامعات فرنسا على امتداد أكثر من خمسة قرون ".(٣)

– وقال الأستاذ شادة في نهاية المحاضرة التي ألقاها بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية بعنوان (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) عن سيبويه : " فيستحق ما

(١) ينظر: الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من الحضارة العالمية ، د. نيقولا دوبريشان - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – عدد ٩٥ : ص١٣٩ : ١٤١ - صفر ١٤٣٢ هـ - مايو ٢٠٠٢ م .
(٢) ينظر: السابق : ص١٤٢ .
(٣)السابق : ص١٤١ .

وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره ما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب : مفخراً من أعظم مفاخر العرب." (١)

– و" كتب (جول فرن) قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقا الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العود إلى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثرا يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما(سئل جول فرن)عن وجه اختياره للغة العربية قال : إنها لغة المستقبل ولا شك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن." (٢)

– وقد قال المستشرق (أرنست رينان) في كتابه تاريخ اللغات السامية : " من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحال ، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرفها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة ".(٣)

وهكذا زاد اهتمام المستشرقين بالشرق منذ القرن التاسع عشر ، حيث وضعوا الفكر العربي هدفاً لدراساتهم وفقاً للأهداف الاستشراقية ، فقد بدأوا باللغة العربية والإسلام ، ثم توسعوا إلى جميع دراسات الشرق وعاداته وتقاليده ولغاته .

---

(١) صحيفة الجامعة المصرية ، السنة الثانية ، العدد السادس – محرم ١٣٥٠ – يونيو ١٩٣١ م ط المتوسطة بمصر.

(٢) دراسات في العربية وتاريخها ، الشيخ محمد الخضر حسين : ص ١٤ نقلا عن مقال (عليكم باللغة العربية) للأستاذ محمود بك سالم .

(٣) دراسات في العربية وتاريخها ، الشيخ محمد الخضر حسين : ص ١٩ .

وما تم عرضه فيما يخص نظرة الاستشراق للعربية هو الوجه الحسن للدراسات الاستشراقية للغة العربية ،حيث يوجد وجه آخر يعكس النوايا الخبيثة للمستشرقين من وراء دراسة العربية للتشكيك في الدين الاسلامي وكتابه وسنته ولكن يضيق المقام هنا عن التطرق لهذا .

الخاتمة

إن اللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي قدر لها أن تحافظ على وجودها، وما كان ليتحقق ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها.

وقد عالجت في هذا البحث : فكرة العالمية للغة العربية قديماً وحديثاً عند العرب من خلال عرض مكانتها وتاريخها ورفعة شأنها الذي أهلها للعالمية وبواعث ومقومات العالمية التي اتسمت بها منذ نزول القرآن الكريم بها، فعالمية اللغة العربية ارتبطت بعالمية القرآن الكريم الذي يتلوه المسلمون في كل أنحاء العالم لأنه لا يترجم ، مع استعراض أهم خصائصها الذاتية من عناصر صوتية وصرفية وتركيبة ودلالية .

ثم إيضاح الكيفية التي تم بها ترسيمها حديثا لغة عالمية من قبل منظمة اليونسكو، ثم وضع رؤى حول واقع اللغة العربية ، وتأثيره على عالميتها .

ثم تناولت وجه آخر وهو عالمية اللغة العربية عند المستشرقين، لتكون شهادة حق وإنصاف لها من غير أهلها فتكون أوقع وأبلغ، فاستعرضت موقف بعض المستشرقين من قضية وفكرة عالمية اللغة العربية ، وجدير بالذكر أن عدداً من المستشرقين البارزين الشرفاء ذوي النوايا الحسنة ،أكدوا على عالمية اللغة العربية ومقوماتها الذاتية والتاريخية التي أهلتها لذلك وعالميتها التي ارتبطت بعالمية القرآن الكريم ،كما أشاروا إلى أهمية اللغة الفصحى باعتبارها ضمانة أساسية لمستقبل الأمة العربية ،ورمزاً للوحدة العربية الثقافية العريقة .

وفي نهاية الدراسة نصل إلى :

١-العالمية اللغوية الرسمية تعود إلى عوامل ومقاييس كثيرة منها: القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية إضافة إلى مواكبة اللغة للتطور، واستخدامها للتقنية الحديثة ،وكذلك الانتشار الجغرافي عبر القارات واستخدامها في المنظمات الدولية والعلاقات الدبلوماسية ،وسعة الانتاج من أدب وثقافة وعلم .

٢-إن جمع اللغة العربية بين القومية والعالمية في آن واحد عبر العصور المتلاحقة جعل لها السبق في العالمية ، فهي أسبق لغة عالمية في العالم من قبل أن توضع المعايير والمقاييس الدولية من قبل المنظمات الرسمية في العصر الحديث ، فوفاء العربية بقومتيها وتعبيرها عن العروبة وسط العالم يعد مظهراً من مظاهر العالمية.

٣-لقد تأثرت عالمية اللغة العربية قديماً وحديثاً بأحوال الأمة الإسلامية السياسية والتاريخية والاقتصادية الملابسة لكل عصر .

٤-اللغة تحيا بالاستعمال ، وسيادة اللغة العربية في أوطانها بأن تكون لغة حية هو سيادة للأمة العربية ، فالوحدة اللغوية والاتحاد حول اللسان العربي المبين هو مصدر القوة للعرب على الساحة العالمية ،لأن العربية هي من أقوى الروابط التي تربط أبناء الامة .

٥-النظرة إلى مستقبل اللغة العربية لابد أن تعتمد على معطيات وتقارير ترصد واقع اللغة وتستخدم كأدوات لتحسين وضع اللغة الى الأفضل ، فاستشراف آفاق

المستقبل للعربية يتطلب التحليل الواعي للواقع للوصول من خلال نقاط القوة والضعف إلى تخطيط لغوي أساسه استثمار الايجابيات والبعد عن السلبيات .

٦-على الرغم من واقع اللغة العربية الذي به كثير من الانحرافات ولكن يسجل لها أنها في تطور وحياة مستمرة ،و تاريخها والمراحل التي مرت بها تؤكد مدى نضجها وارتقاءها وتطورها ومواكبتها لكل ما هو جديد ، العربية قادرة على المنافسة وعلى استعادة دورها العالمي وهذا ما شهد به التاريخ فهي قوية رغم ما مر بها من محن.

٧-التمسك بهويتنا اللغوية هو النجاة من كل الفتن والتيارات المعاصرة الخبيثة.

٨-توجه الدراسات الاستشراقية إلى دراسة اللغة العربية في الجامعات الأوروبية أكبر دليل على عالمية اللغة العربية .

٩-تضافر النشاط العقلي والثقافي عبر العصور للحفاظ على كتاب الله المجيد ونشر تعاليمه ، هو ما رفع لواء اللغة العربية وضمن لها الخلود والبقاء .

١٠- لغتنا العريقة تحتل مكانة فريدة بين اللغات الإنسانية فهي متميزة في تاريخها وما احتوت عليه من ذخائر معرفية كانت أساساً للحضارة الإنسانية .

١١-للحفاظ على العربية لابد من تطوير الأساليب والوسائل التعليمية بما يناسب طبيعة لغتنا مع الاستفادة من الأساليب الحديثة المطورة في تعليم اللغات .

١٢- الإفساد اللغوي الذي يجري للغتنا لابد له من تخطيط لغوي ثقافي قومي يقوم على إثراء الحراك الثقافي العالمي بكل ما هو عربي اللغة ، وأيضا يقوم على تمكين وتعزيز اللغة العربية لدى أبناءها نطقاً ، وكتابةً للحفاظ على سلامة اللغة .

١٣-لابد من نشر الوعي بتاريخنا الحضاري لنواصل التقدم على أسس حضارية تعلو بمنزلتنا وذلك يكون في رحاب العربية والحفاظ عليها . اللغة العربية كغيرها من اللغات تمر بتحديات متنوعة من التقنية والتقدم السريع والتواصل الأسرع عبر الشبكة المعلوماتية والثقافة الدولية التي يحكمها ويوجهها تيارت مختلفة مثل العولمة وغيرها . كل هذا كان لابد من أن يجعل لغتنا في محنة ،ولكن ثباتها وحفظها وخلودها هو الأقوى والأبقى بمشيئة الله .

١٤-يلاحظ وجود نشاط للحركة الثقافية والبحثية في الوطن العربي فتتعاون الهيئات وتهتم اهتماماً عربياً عاما باللغة العربية الفصحى ، والعمل عل نشرها فلا تكاد دولة عربية تخلو من مؤسسة لغوية أو أكثر.

وفي النهاية نوصي ونؤكد على أن :

لغتنا لها من القدرات والقوة والثراء لتقف وتبقى أمام كل التيارات والدعاوي الهدامة ، تتصدى لكل ما هو مخرب ومضل ،فهي العروة الوثقى لكافة المؤمنين ،لذلك أصبحت حماية سلامتها والحفاظ على وحدتها واجب ديني وقومي ووطني ،ومن هنا يجب العمل على وضع خطة ثقافية تبصر أجيالنا بقدر لغتهم وعزتها وقدسيتها ، وأن في تعلمها واتقانها فخراً شخصياً، لأنها عنوان الشخصية، وذلك حتى يمكن أن تشيع روح الاعتزاز باللغة العربية ، وتقديرها والتمسك بها ، والإقبال على تعلمها ، وإدراك ما يوجه إليها من سهام الهدم ، والدفاع عنها بروح وطنية وولاء.

وحشد الكفايات البشرية من أساتذة وخبراء وباحثين ومعلمين ، مع تقديم الامكانات المادية ، والبحثية للمتابعة الدائمة لتعليم اللغة العربية ، وتصحيح مسار هذا التعليم وتطويره وتجديده وتجويده .

ولذا نأمل توفير مستقبل أفضل للغتنا في المجتمع المحلي والعالمي بحضورها المتطور المستمر في بناء الإرث المعرفي .

وأحتسب هذا العمل لوجه الله اعلاءً للغة ديننا الحنيف خاصة أننا نعيش في عصر من الفوضى اللغوية عصر ضعفت فيه الهمم وقل فيه الانتماء اللغوي فأصاب الشباب الانحراف اللغوي لتقليدهم الأعمى لكل ما هو غربي .

ثبت المراجع والمصادر

١- الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي:- القاهرة ١٣٦٨ هـ .

٢- أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد – هنداوي – ٢٠١٣ م

٣- أثر القران الكريم في اللغة العربية ، الشيخ أحمد حسن الباقوري ، دار المعارف ، ط ٤.

٤- الأدب العربي الحديث ومدارسه، محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت- دار الجيل.

٥- الاستشراق في الأدبيات العربية (عرض للنظرات وحصر وراقي)، على إبراهيم النملة، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٤هـ- ١٩٩٣م،.

٦- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق: ، دار المنار ط٢-١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٧- الاستشراق والدراسات الشرقية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم)، إبراهيم على النملة ، الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٣م.

٨- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٩- الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)د.محمد فاروق النبهان ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠- الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب: بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.
١١- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد : ، مكتبة نهضة مصر ، عام ١٩٥٥ م
١٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحران ي الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، ، تح: ناصر عبد الكريم العقل، ن: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٣- بحوث لغوية (أثر الإسلام في الحفاظ على وحدة العربية وتقارب لهجاتها) ، د. أمين محمد فاخر ، حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة ، عدد١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٤- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط ٢- ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
١٥- جامع البيان في تأويل القران محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، طـ ١ ، ١٤٢٢ هـ

١٧- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

١٨- دراسات في العربية وتاريخها – الشيخ محمد الخضير حسن، جمعه وصححه :علي الرضا التنوسي –الناشر المكتب الإسلامي –مكتبة دار الفتح –ط٢–عام ١٣٨٠هـ–١٩٦٠ م.

١٩- الرسالة لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، ، تح: أحمد شاكر، ن: مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

٢٠- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ): –دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١ ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢١- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨ هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م

٢٢- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ،ن: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧.

٢٣- العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)،يوهان فك ، ترجمة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ،عام ،١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م

٢٤- العربية تطور وتاريخ (دراسة تاريخية في نشأة العربية والخط وانتشارهما)، د.كريم زكي حسام الدين : المقدمة، مكتبة النهضة المصرية – ط١ -١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥- علم اللغة العام، د. توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبه ط١- عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٦- عوامل تنمية اللغة العربية، د. توفيق محمد شاهين مكتبة وهبه ط٢ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٧- فقه اللغة العربية ، د. إبراهيم نجا، ط ٢ ، عام ١٩٧١ م .

٢٨- فقه اللغة وخصائص العربية ، د. محمد المبارك – ط ٣ – دار الفكر – بيروت – ١٩٦٨ م.

٢٩- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي : دار نهضة مصر.

٣٠- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨.

٣١- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لمحمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ،. ن: دار الكتب العلمية.

٣٢- في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي: دار الفكر العربي- الجزء الأول عام ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

٣٣- في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين- مؤسسة الرسالة ط٥ – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٣٤- كتيب صادر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، في الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية عام ٢٠١٢ م

٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

٣٦- كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ، د. أنور الجندي. دار الاعتصام .

٣٧- اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد ، مكتبة نهضة مصر- يونيو ١٩٩٥م.

٣٨- اللغة العربية عبر القرون ،د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للطباعة والنشر عام ١٩٧٨م .

٣٩- اللغة بين القومية والعالمية ،د. إبراهيم أنيس، دار المعارف بمصر عام ١٩٧٠م.

٤٠- اللغة والهوية ..أنا ..والآخر.. والسيادة الوطنية ، د. محمد محمد داوود، دار المنار.

٤١- لم الاهتمام بالاستشراق؟ شكري النجار، مجلة الفكر العربي، بيروت، عدد ٣١.

٤٢- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب: - مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣- ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تح: فؤاد علي منصور- دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٤٤- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥ هـ) ،

تـح : مصـطفى عبـد القـادر عطـا ،دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، ط ١ ،١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م

٤٥- مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل ، أبـو عبـد الله أحمـد بـن محمـد بـن حنبـل بـن هـلال بـن أسـد الشـيباني (ت : ٢٤١ هـ) ، تحقيـق : أحمـد محمـد شـاكر ، دار الحـديث – القـاهرة ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

٤٦- مسـند صـحيح المختصـر بنقـل العـدل عـن العـدل إلـى رسـول الله صـلى الله وعليـه وسـلم ، مسـلم بـن الحجـاج أبـو الحسـن القشـيري النيسـابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيـق : محمـد فـؤاد عبـد الباقي ، دار احياء التراث العربي – بيروت

٤٧- معجـم أسـماء المستشـرقين، يحيـي مـراد ، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ٢٠٠٤.

٤٨- معجـم اللغـة العربيـة المعاصـرة، د. أحمـد مختـار عمـر (ت ١٤٢٤هـ) بمسـاعدة فريـق عمـل: – عـالم الكتـب ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٤٩- مقدمـة فـي أصـول البحـث العلمـي وتحقيـق التـراث، السـيد رزق الطويل–المكتبة الأزهرية للتراث–ط٢ .

٥٠- منـاهج المستشـرقين فـي الدراسـات العربيـة الإسـلامية ، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم ، ومكتـب التربيـة العربـي لدول الخليج ، تونس عام ١٩٨٥ م .

٥١- مواجهـة التحـدي الاستشـرافي مـن آفـاق الـدعوة الإسـلامية فـي القـرن الخـامس الهجـري، عبـد الحلـيم عـويس، أعمـال الملتقـى الرابـع عشـر للفكـر الإسـلامي، الجزائـر، منشـورات وزارة الشـئون الدينية.

٥٢- نظريات في اللغة، د. أنيس فريحة: – دار الكتاب اللبناني – بيروت – سلسلة الألسنية ٣ – ط ١ – ١٩٧٣م.
٥٣- نقد الخطاب الاستشرافي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

الدوريات العلمية:

١. الاستشراق والتأليف المعجمي ، بوركهارت دفين ، مصر ، عام ١٨١٧ م نموذجا ، د. عبد الهادي التازي: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عدد ١١٦ ، جمادى الأولى ١٤٣٠هـ-مايو ٢٠٠٩م.
٢. الإسلام واللغة العربية والعلم، د.عبد الحافظ حلمي :مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة:ج٨٤ ، محرم ١٤٢٠هـ -مايو ١٩٩٩م.
٣. بعث العربية ، السيد محمد رضا : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،عدد ٨ ، عام ١٩٥٥م.
٤. بين الفصحى والعامية المصرية ، د. شوقي ضيف: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،ج٨١،جمادى الأخرة ١٤١٨هـ-نوفمبر ١٩٩٧م.
٥. جاك بيرك من خلال أعماله) د .عبد الهادي التازي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: جـ٨٤-محرم ١٤٢٠هـ -مايو ١٩٩٩م.
٦. صحيفة الجامعة المصرية ، السنة الثانية ، العدد السادس – محرم ١٣٥٠ – يونيو ١٩٣١ م ط المتوسطة بمصر.
٧. العربية الفصيحة من أهم أسس تمايز هويتنا العروبية ، د. صادق عبد الله أبو سليمان : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : عدد ١١٦ ، جمادى الأولى ١٤٣٠هـ-مايو ٢٠٠٩م.
٨. اللغة العربية في مواجهة التحديات، د. إحسان النص: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: عدد١١٦، – جمادى الأولى ١٤٣٠هـ-مايو ٢٠٠٩م.

٩. اللغة العربية مكانتها القومية والعالمية في القديم والحديث، أستاذ محمد شوقي أمين: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ج٣٤، شوال ١٣٩٤هـ – نوفمبر ١٩٧٤م.

١٠. اللغة العربية و وسائل النهوض بها في مصر، أ. د محمود حافظ : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٨٧ –محرم ١٤٢١ هـ _ مايو ٢٠٠٠ م.

١١. لغة العلم في الإسلام ، د. إبراهيم مدكور ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عدد ٢٩ – صفر ١٣٩٢هـ –مارس ١٩٧٢م.

١٢. اللغة والحضارة ، د. محمد بديع شريف ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٦٨ ، شوال ١٤١١ هـ – مايو ١٩٩١ م .

١٣. مجمع اللغة العربية ولغة العلم ،د. محمود حافظ : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : جـ٥٣ –عام ١٩٣٤–١٩٨٤م.